الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم أدب عربي

فرع دراسات أدبية و نقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص أدب عربي

بعنوان:

الاغتراب عند محمود سامي البارودي من خلال شعره

إعداد الطالبتين:

- جلولي صابرينة

إشراف:

أ/ حمودي محمد

السنة الجامعية: 2016*2017م

المقدمة:

المغترب معلّق دائما بين ماضي يبتعد، فيزداد تألّقا وطفولة واهمة، وبين مستقبل نهاياته مجهولة لدرجة الرعب يبدو الحاضر بينهما حلبة صراع نفسي دائم، ومقارنات لا تنقطع كيف يعيشون، وكيف نعيش؟ كيف يفكرون، وكيف نفكر؟ مقارنات يومية تقريبا في المأكل والمشرب والملبس، في العرس والمأتم في الصّمت وطريقة الكلام، في صعود الحافلة، وحتى في إشارات اليدين وردود أفعال ملامح الوجه، وحتى طريقة المشي صراع لا أكثر من أجل البقاء، وليس في ملامح الوجه.

صراع لا أكثر من أجل البقاء، وليس فيه انتصار ولا حتى اندحار لكنه صراع لا يمكن للمغترب تفاديه لأنه يمسّ كينونته وهويّته.

يبدو أن الغريب مثل بقعة أرض منقولة بترابها ومائها، وشجرها، وطيرها من مكان إلى آخر، بقعة منكمشة على جذورها وذكرياتها، بقعة تقدّس نفسها، وكل ما حواليهما تدنيس وتجديف.

هناك العديد من الأدباء والشعراء يعانون من الاغتراب أمثال محمود سامي البارودي، فالاغتراب عنده بكل أنماطه جسّد صفاته، وحياته، وسلوكه، ومعاناته، وحالات الأرق والألم ولا سيما حين عبس الزمان بوجهه، وعصفت الأحداث بحياته، وذلك يعدّ شعر الاغتراب عند البارودي شعرالألم الإنساني برمّته، شعر عدم الرضا بالبؤس والشقاء والجهل والفقر، والاختلاف والتفرق.... وما يعني أن أدبه يمثل اغترابات شتى تتسم بروح السمو عن مصائبها، لأنه يواجهها بكل ما لديه من القدرة والابداع، وحسّ متمرد يعبر عن نبضه الحر والنقي.

وعليه ما هذا البحث سوى محاولة لإماطة الإبهام وإظهار بعض الجوانب الخفية، ومحاولة تسليط الضوء على مظهر، من المظاهر المتواجدة ألا وهو الاغتراب، وذلك من خلال شعر محمود سامي البارودي الذي يعدّ ظاهرة فريدة من نوعها.

فقد جاء هذا البحث وفي مجال الشعر بالذات دون النثر وهذا مايعكسه حبي الكبير للشعر وشغفي دائما به، ومحاولة الاستماع والاستمتاع به.

لهذه الأسباب اتجهت إلى دراسة موضوع الاغتراب في شعر محمود سامي البارودي، وقد طرحت جملة من التساؤلات تشكل جوهر اشكاليته، وهي: ما معنى الاغتراب؟ وأين تتجلى مظاهره؟ وكيف تميّز شعر البارودي بهذه الخاصية عن بقية شعراء عصره؟ ولماذا؟

وقد اقتضت المنهجية تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول مستهلّين بمقدمة، وتشكر واهداء، ثمّ الفصل الأول معنون بـ: مفهوم الاغتراب عند العلماء والرواد وجذوره في الشعر العربي، ثم فصل ثاني وفيه: الاغتراب أنواعه وأبعاده، وكيفية التخلص منه، فالفصل الثالث وخصص لدراسة ظاهرة الاغتراب عند محمود سامي البارودي. لنختم المشروع بخاتمة لخّصت فيها مجموع النقاط التي توصلنا إليها، ثم توثيق لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وعليه فهرس يضمّ أهم عناوين البحث.

انتهجت في هذا البحث منهجا وصفيا تحليليا، ولكن لا أحد ينكر قصور المنهج الواحد عن الإلمام الكامل بجوانب البحث لذلك ارتأيت أن أكامل بين المناهج، وقد استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: الاغتراب والابداع الفني لـ محمد عباس يوسف، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية لـ يحي عبد الله، الاغتراب في القصيدة الجاهلية لـ محمد سليم هياجنة.. وغيرهم من الكتب التي دعّمت البحث.

وإذا كان للبحث أسباب ودواعي، لا بدّ له من صعوبات وهي طبيعة كل بحث، ولعلّ أبرزها تمثّل في غموض الموضوع وتشابكه من كل الجوانب، و أيضا ندرة الدراسات في هذا الموضوع. علاوة على غياب شبه تام للمراجع الأساسية التي تغطي الموضوع ولكن الفضل لله وتوفيقه استطعت أن أتغلب على الكثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض طريقي.

وختاما فإننا نشعر حقيقة عجزنا عن إيجاد العبارات المناسبة التي تفي بمعاني الشكر والعرفان التي أريد أن أوجهها إلى أستاذي الفاضل حمودي محمد، فإذا عجز اللسان عن إخراجها فإن القلم يأبى إلاّ أن يدوّنها، فله منا خالص الشكر والتقدير لرحابة صدره وصدق نصائحه فله كل الفضل في إخراج هذا البحث بهذه الصورة، كما لا أنسى كل من قدّم لي يد العون سواء من قريب أو بعيد، فإلى كل هؤلاء الشكر والتقدير، والمحبة والعرفان، مني إليهم جميعا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

... فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حقه من حبيبه وسكنه، لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان؟ قد علاه الشحوب وغلبه الحزن، إن نطق نطق خزيان منقطعا وإن سكت سكت حيران مرتدعا، وإن قرب قرب خاضعا وإن بعد بعد خاشعا، وإن ظهر ظهر ذليلا، وإن توارى توارى عليك وإن طلب طلب واليأس غالب عليه، وان أمسك امسك والبلاد قاصد إليه.

... بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسب بل الغريب من ليس له من الحق نصيب. الغريب من اغتربت شمس جماله وأغرب في أقواله وأفعاله، إن حضر كان غائبا، وان غاب كان حاضرا.

... وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه، الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله، إذا تنفس أحرقه الأسى والأسف، وإن كتم أكمده الحزن واللّهف، إذا زار أغلق دونه الباب، وإن استأذن لم يرفع له حجاب.

... الغريب من كله حرقة، وبعضه فرقة، وليله أسفٌ ونهاره لهفٌ، وغذاؤه حزنٌ وعشاءه شجنٌ ورواؤه ظنن وجميعه فتن، ومفرّقة محن، وسره علن، وخوفه وطن.

أبو حيان التوحيدي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي "عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم" (العلق:05) فلا يسعى إلا أن أتوجه إليه بالحمد، والشكر على توفيقه لإتمام هذا العمل وانطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَن لَم يَشكُر النَّاس لَم يَشكُر الله"

فإن خير مدخل أتقدم به هو خالص الشكر إلى جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، حيث كان لي الشرف أن أكون من طلابها، والشكر والوفاء إلى كافة الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس بقسم الأدب العربي، لما كان لهم من التشجيع والدعم المتواصل وتزويدي بالعلم النافع خلال فترة الدراسة.

كما يسرني أن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان وعميق التقدير إلى أستاذي الدكتور: حمودي المشرف على هذه المذكرة، لما بذله معي من جهد وما أسداه لي من نصح وتوجيه سديد مع تواضع جم وخلق رفيع متحلّي بالصّبر والعمل، وكان له الفضل بعد الله في انجاز هذه المذكرة فجزاه الله خير الجزاء، وأمدّ في عمره ومتّعه بالصحة والعافية والشكر موصول لأعضاء اللجنة الموقرة على قبولهم مناقشة هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني من قريب ومن بعيد، لإنجاز هذا العمل وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

صبرينة

اهداء

إلى:

والدي الكريمين

إلى كل إخوتي وعائلتي العزيزة إلى أساتذتي إلى زملائي وزميلاتي وإلى كل الأصدقاء.

أهدي هذا البحث المتواضع راجيةً من المولى عزّ وجلّ أن يجد القبول والنجاح.

الاغتراب ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفها الإنسان منذ أن وطأة قدماه الأرض، ومازالت تصاحبه بمآسيها إلى يومنا هذا، لأنها ضمن طبائعه، بل هي دافع ضروري من دوافعه. قد كانت ظاهرة الاغتراب واضحة المفاهيم، واضحة الاستخدامات والمصطلحات، لكن في عصرنا الحالي أخذت أشكالا وصور سلوكية وتعبيرية مركبة ومعقدة.

عرف هذا المصطلح رواجا كبيرا وحضورًا مكثفا في الساحة الأدبية على غرار المجالات الإنسانية الأخرى، لكونه ظاهرة مرتبطة بأزمات الإنسان المعاصر، إذ أصبحت ظاهرة الاغتراب من أبرز الظواهر والمفاهيم إثارة لنقاش والجدل اللغوي، وهذاراجع إلى العديد من التعريفات الحديثة التي رصدت لنا مفهومها.

وبناءً على هذا فان الدراسة تتركز على ظاهرة الاغتراب، وبالرغم من هذا الغموض الحاصل إلا أننا سوف نرد قدر الإمكان معنى الاغتراب لغة واصطلاحا، من التراث اللغوي العربي وغير العربي، لتبينه وتحديد مفاهيمه ودلائله عند طوائف من العلماء.

تعريف الاغتراب:

لغة: الاغتراب هو البعد والنَوى والغربة عن الوطن، ففي "معجم العين للخليل" بن أحمد الفراهيدي "يشرح " والغربة: الاغتراب عن الوطن، وغرب فلان عنا يغرب غربا، أي تنحَى، و أغربته وغربته، أي نحيته: والغربة النوى والبعد".[1]

ويعرفه "ابن منظور" في "لسان العرب" في مادة غرب "الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرب عنا، يغرب غربا، وغرب واغرب وغربه وأغربه أي نحاه.

[1]:الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين المجلد الثالث، تحقيق عبد الحميد الهنداوي– منشورات علي بيضو، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: سنة 2003م ص271

والغربة والغرب النزوح عن الوطن والاغتراب، واغترب الرجل نكح في الغرائب وتزوج في غير أقاربه واغرب الرجل جاء بشيء غريب". [1]

وفي مختار "الصحاح" لـ "الرازي في مادة غرب "تغرب" و "اغترب فهو غريب، وغربٌ بضمتين، الجمع "الغرباء"، والغرباء أيضا الأباعد و"اغترب" فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه...، و "التغريب" النفي عن البلد و"اغرب صارغريبا، وأسود "غربيب" بوزن قنديل أي شيء شديد السواد.[2]

أما الزمخشري في "أساس البلاغة" فيرى "غرب" كففت من غربه أي من حدّته، وأقطع عني غرب لسانه، واني أخاف عليك غرب الشباب...

ورمى فأغرب: أي أبعد المرمى، وتكلم فأغرب: إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ...، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة وأغرب الفرس في جديه، والرجل في ضحكه، إذا أكثر منه وهي من الاستغراب في الضحك وأقصاه[3]ومنه في أي شيء يبلغ مداه فهو غريب.

يقول الإمام الشافعي عن الغربة والاغتراب:

مَا فِي المَقَامِ الذِي عَقُلَ وَذِي أَدَبِ وَمِن رَاحَةٍ فَدَع الأَوطَانَ وَاغتَرِب

---

[1]: ابن المنظور: لسان العرب، الجزء الخامس، باب العين، مادة غ–ر–ب دار المعارف القاهرة مصر، ط،02، سنة 1981م ص 3225.

[2]: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الارشاد حمص سوريا،ط:01،سنة 1989م، مادة غرب،ص:380 .

[3]:محمد أبو القاسم بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1998،01،مادة غرب ص380.

ويقول أيضا:

تَغَرَّب عَنِ الأَوطَانِ وَفِي طَلَبِ العُلاَ وَسَافِر فَفِي الأَسفَارِ خَمسُ فَوَائِدٍ[1].

ويضيف زهير بن أبي سلمى:

وَمَن يَغتَرِبُ يَحسَبُ عَدُوًا صَدِيقَهُ وَمَنْ لاَ يَظـــــــلِم النَّـــــاسَ يُظـــــلَم[2]

فهذه إذن بعض المعاني التي وردت عن مفهوم الاغتراب في بعض المعاجم العربية، أما إذا نظرنا إلى المفهوم من وجهة نظر اصطلاحية وعند غير العرب، أي من وجهة عالمية، سوف نجده يتعدد ويتلوّن بتلوّن المفاهيم واللّغات والاتجاهات.

اصطلاحا:

يتميز مصطلح الاغترابAliénationعن سائر المصطلحات بجاذبية خاصة وفريدة، فهذا المصطلح رغم ما يشوبه من غموض له إغراء خاص في الاستخدام، مما يجعله اليوم أكثر المصطلحات شيوعا في علم النفس والفلسفة والأدب والفن والعلوم الاجتماعية.[3]Aliénatio مشتق من الاسم اللاتينيAliénationوإذا مبحثنا في أصل المصطلح، نجد أن مصطلح الاغتراب

المشتق من الفعلAlienareبمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاعأو الإزالة، وهذا الفعل مشتق من فعل آخر Alienus، بمعنى ينتمي إلى شخص آخر، أو يتعلق به. وهذا الفعل الأخير مستمد من لفظ Aliens، ويعني بالآخر.

وقد كان لمصطلح الاغتراب قبل هيجل – باعتباره أول من قام بتأصيل هذا المصطلح فلسفيا، ثلاثة استخدامات تقليدية.

---

[1]: الشافعي: الديوان اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة لبنان، بيروت ط2005، 02، ص27.

[2]: زهير بن أبي سلمى: الديوان، دار المعرفة لبنان، بيروت، ط2005، 2، ص70.

[3]: دكتور محمد عباس يوسف الاغتراب والابداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سنة 2004، ص 21.

1. الاستخدام الأول "بمعنى نقل الملكية":

الاستخدام الأساسي لمصطلح الاغتراب يتعلق بملكية بالفعل Alienare، يعني نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر.وهذا يعني جعل شيء ما منتميا إلى شخص آخر[1].

2. الاستخدام الثاني "بمعنى الاضطراب العقلي"

كان مصطلح الاغتراب يستخدم أيضا فنيا في مجال الطب، بمعنى الاضطراب العقلي، فلفظ Alienato في اللاتينية يشير إلى حالة فقدان الوعي، أو القصور في القوى العقلية. والشخص المغترب كما يقرر "بلوين" هو الشخص المضطرب عقليا، ولفظ Alienist يطلق على الطبيب المختص في علاج الأمراض العقلية.

ولكن هذا الاستخدام غير شائع اليوم في اللغة الانجليزية ويقتصر فقط على علم النفس العلاجي، وليس الطب بمعناه الشامل.

1- الاستخدام الثالث: "بمعنى الغربة بين البشر"

الاستخدام التقليدي الثالث لمصطلح الاغتراب، بمعنى الغربة أو فقدان الألفة، والعلاقات الودية بين البشر فالفعل Alienare في الاستخدام اللاتيني، يفيد أيضا معنى التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر، أو حدوث انفصال، أو جعل شخص مكروها.

ويشير أصحاب معجم الانجليزية الوسطية، الى أن استخدام مصطلح الاغتراب، بهذا المعنى كان في البداية قاصرا على مجالات علم اللاهوت مما يبدو في مقولات (الغربة عن الله) أو (الاغتراب والمفارقة بين الله والإنسان)، هذا قبل أن يتسع المصطلح ليشمل الاغتراب في العلاقات بين البشر. والاغتراب بهذا المعنى (الغربة بين البشر)، هو أقرب المعاني الثلاثة الى الاستخدامات المعاصرة لهذا المصطلح[2].

---

[1]: نفسه ص 21.

[2]:محمد عباس يوسف، الاغتراب والابداع الفني ص22.

معظم الاستخدامات المعاصرة للمصطلح تتفق على أن الاغتراب هو التباعد والتنافر، أو الانفصال عن شيء ما، ولهذا الانفصال عادة ما يكون انفصالا عن الذات أو المجتمع، حيث يميز علماء النفس نوعين أساسيين من الاغتراب: الاغتراب عن الذات والاغتراب عن المجتمع.

1-**الاغتراب عن الذات:** يعني انفصال الفرد عن ذاته وعدم التطابق معا، بمعنى أنه يصطنع ذاتا زائفة، من فعل وتأثير ضغوط المجتمع،بنظمه وأعرافه وتقاليده، بل وتناقضاته مما يؤدي إلى طمس الذات الحقيقية، أي ذات الفرد كما يريد لنفسه أن يكون.

2-**الاغتراب عن المجتمع:** وهو أن يرفض الفرد صراحة قيم المجتمع وأعرافه وتقاليده، ويبرز سلبياته، وتناقضاته، ولا يشعر بالميل إلى إقامة العلاقات الاجتماعية والعلاقات الودية مع الآخرين[1].

الاغتراب في الإسلام:

إن الاغتراب حركة زمنية في النفس، لا تدع الإنسان في وضع ثابت في كل وقت، فللدهر ظروف، وللأحداث آفات وحركات، والتفاعل بين الإنسان ومحيطه لا يخفى على أحد، فما من حدث إلا تكون النفس له مجالا، وتكون حركاتها الداخلية والخارجية لها امتثالا ايجابيا أو سلبيا.

لقد جاء في حديث مشهور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبروايات متعددة قوله "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء"[2]، هذا هو النص المتفق عليه، وقد أورد ابن القيم الجوزي هذا الحديث بطرقه المختلفة عند حديثه عن الغربة، وأهل الغربة وأشار أنهم (أهل الغربة) هم اللذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا فَطُوبَا لِلغُرَبَاء" قيل وما الغرباء يا رسول الله؟ قال:"اللَّذِينَ يُصلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس "، ثُمَّ أورد قول الإمام أحمد في رواية عن رسول الله صلى الله

[1]:نفسه، ص22. -

[2]:أخرجه الامام مسلم والامام أحمد بن ماجة نقلا عن ابن القيم الجوزية مدارج السالكن–دار الكتاب العربي–بيروت– ط.ج3 1972 ص 198.

عليه وسلم قال: "طُوبَى لِلغُرَبَاء": قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: "اللَّذِينَ يَزِيدُونَ وإِيمَانًا وَتُقَى إِذَا نَقَصَ النَّاسُ مِن ذَلِكَ وَالله أَعلَم"[1] ثم أورد رواية عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ الإِسلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلغُرَبَاء، قِيلَ وَمَن الغُرَبَاء يَا رَسُول الله؟قال:" النِزَاع مِنَ القَبَائِل".

ثم أورد رواية عبد الله بن عمر وبن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده "طُوبَى لِلغُرَبَاء" قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال:" نَاسٌ صَالِحُون قَلِيلٌ فِي نَاس كَثِير وَ مَن يَعصِيهِم أَكثَر مِمَن يُطِيعُهُم"،ثم أورد ابن قيم الجوزية رواية أخرى عن عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ أَحَبَّ شَيءٍ إِلَى الله الغُرَبَاء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: "الفَارُّون بِدِينِهِم يَجتَمِعُون إِلَى عِيسَى بنُ مَريَم عَلَيْهِ السَّلَاميَومَ القِيَامَة"، ثم يورد رواية أخرى للحديث السابق على النحو التالي "بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَبَاء، قيل ومن الغرباء، قال :"الَّذِينَ يُحِبُّونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاس" ويعقب ابن القيم الجوزية على هذه الروايات بقوله: فهؤلاء الغرباء الممدوحون الذين يغبطهم الناس، ولقلتهم وندرتهم في الناس سموا غرباء، لأن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء[2].

ونلاحظ ابن القيم الجوزية رحمه الله قد ميز بين ثلاثة، كما تبين لنا الروايات السابقة أن المقصود بالغرباء هم تلك الفئة القليلة من الناس من ذوي الصلاح والتقوى والإخلاص والتجرد، استجابت للرسول صلى الله عليه وسلم في مبدأ الدعوة ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات حين افتتن المسلمون بهاتين الفتنتين[3].

---

[1]:ابن القيم الجوزية مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، تحقيق حاجي الفقي– دار الكتاب العربي– بيروت1972–د.ط ج3 ص 199.

[2]: السابق ج3: ص194 – 196.

[3]: بنظر فتح الله خليف–الاغتراب في الاسلام–مجلة عالم الفكر– المجلد العاشر– ص84.

وأهل الغربة بهذا المعنى هم أهل الله في كل زمان ومكان، ولكن هذه الغربة قد تكون في مكان دون آخر، وفي وقت دون وقت وبين قوم دون قوم آخرين، واستحقوا بأن يكونوا أهل الله لأنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم لم ينتسبوا إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم منتسبون إلى الله بالعبودية، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالإتباع، لما جاء به وحده وهم إلى ذلك يمكن أن يوصفوا بأنهم القابضون على الجمر وجل الناس إن لم تقل كلّهم لائم لهم ولتميّزهم بصفة الغربة بين الخلق، كان يشار إليهم بأنّهم أهل شذوذ وبدعة، ولأنهم سلكوا سلوك ما ليس عليه السواد الأعظم من الناس[1].

ولا يوجد في غربة أهل الله وحشة بل هم آنس العباد إذا استوحش الناس، مثلهم في ذلك مثل موسى عليه السلام عندما خرج من مصر هاربا من فرعون وملئه، حيث ناجى ربه قائلا "يا رب وحيد مريض غريب، فناداه ربه قائلا: "يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة"[2]، ثم زالت غربة الإسلام بدخول الناس فيه أفواجا، وشملت دولة الإسلام الأولى كثيرا من البلاد ولكن وإن بقيت دولة الإسلام قائمة فإن الإسلام سرعان ما بدأ في الترهل في نفوس أهله، فأخذ في التغرب مرة أخرى، فلم يكد يمضي القرن الأول من الهجرة حتى وصف المسلمون بالتغرب[3] ، والرأي عندي أن الإسلام بدأ في الاغتراب مع بداية فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما استتبع ذلك من حوادث و آلام، عادت على الإسلام والمسلمين بالوهن والخوف والرعب والقلق، والقلائل، فكان مقتل الخليفة الثالث نكبة للأمة الإسلامية، وصحت فراسة الإمام على رضي الله عنه حين قال لسيدنا عثمان رضي الله عنه: ناشدتك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول الذي يفتح عليها القتل والقتال يوم القيامة[4].

---

[1]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق ص196-198 .

[2]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق ص196

[3]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق ص 198

[4]: ينظر: نهج البلاغة تحقيق و توثيق صبري إبراهيم السيد-بور سعيد، الجزائر، د.ط 1989ص 199 .

وبعد أن اغترب المسلم والإسلام، اغترب المؤمن، فحينما فسدت السياسة وأخلاق العامة وساستهم اغترب المؤمن بين هؤلاء الذين اتبعوا أهوائهم، وأعجب كل امرئ منهم برأيهكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. "أمُرُوا بِالمَعرُوفِ وَانْهُوا عَنِ المُنكَرِ، حَتَى إِذَا رَأَيتَهُم شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَبَعًا، وَدِينًا مُؤَثِّرة، وَإِعجَابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرَأيِهِ، وَرَأَيت أَمرًا لَابُدَّ لَكَ بِهِ، فَعَلَيكَ بِخَاصَة نَفسِك وَإِيَاكَ وَعَوَامِهِم، فَإِنَّ وَرَاءَكُم أَيَامًا صَبرًا الصَّابر فِينَا كَالقَابِضِ عَلَى الجَمرِ"[1]، فإذا أراد المؤمن أن يغير هذا الأمر، الشح المطاع وإتباع الهوى ...الخ، فعليه أن يوطن نفسه على تحمل المكاره والمصاعب، لأنه سيلقى قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وتنفير الناس من حوله وتحذيرهم منه وإلصاق التهم بهكما كان يفعل الكفار مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فان دعا المؤمن إلى إتباع السبيل القويم كما رسمه القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة فسيلقى محنا جمة، أماإذا طعن على هؤلاء ماهم فيه من القبيح والسوء، فقد فتح أبواب جهنم على نفسه فيقوم أولئك الضلال بنعته كل النعوت القبيحة المزرية به، ثم يلون ذلك بنصب مكائدهم للإيقاع به والتخلص منه، لأنه غريب بينهم، ومصدر غربته دينه القويم فساد أديانهم، وهو غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم وغريب في صلاته لفساد صلاتهم، وهو غريب في طرقه لفساد طرقهم وسبلهم، غريب في معاشرته لهم، لأنه يعاشرهم على غير ما تهوى نفوسهم وبالمختصر المفيد فهو غريب بينهم في أمور دنياه وآخرته، لا يجد معينا ولا مساعدا لأنه عالم بين جهال[2] وكفى بشر سماعه.

وهذا الاغتراب محمود لأنه يرفع الإنسان ولا يضعه، يرفعه في الدنيا بالالتزام، ويرفعه في الآخرة بالدرجات العلى وهو محمود لأن الله مدح المتمسك بالحق ولو كثر أهل الباطل يقول تعالى "وَإِن تُطِع أَكْثَر مَن فِي الأَرضِ يُضِلوُّكَ عَن سَبِيلِ الله"[3].

---

[1]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق ص 198 .

[2]: السابق، ص 199– 200 .

[3]: الأنعام الآية 116.

وهناك غربة مذمومة في المفهوم الإسلامي وهي التي أشار إليها ابن القيم الجوزية، وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق فهم أهل الظلال بين أهل الفلاح، أي هم حزب الشيطان والهوى بين حزب الله، وهي غربة أهل الرذيلة بين أهل الفضيلة.

فهو يرجو زوال الفضيلة وكثرة أهل الرذيلة لأنه يستوحش من الحق وأهله ومن الخير ومن يعمل به[1].

وهناك مرتبة ثالثة حسب تقسيم ابن قيم الجوزية، وهي غربة مشتركة بين الناس جميعا، وهي غربة الأوطان وهي في رأيه لا تحمد ولاتذم، لأن الناس كلهم في هذه الدنيا غرباء إذ الدنيا ليست بدار مقام، ولا بالدار التي خلقوا من أجلها، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"[2]، وقد حصر ابن قيم الجوزية كل الناس في هذه المرتبة وسوى بينهم، غير أنه فيما أزعم، وقد أعقل الكافرين والملحدين فهم ليسوا سواء مع المسلمين في اعتبار الدنيا جهاز وقنطرة، جوار إلى الدار الآخرة، وبالتالي فنظرتهم إلى الغربة في الدنيا من و طن إلى وطن تختلف عن نظرتنا لها، ثم إن ابن قيم الجوزية استشهد بأبيات له يقول فيها:

وَحيٌّ عَلَى جَنَاتِ عَدَنٍ فَإِنَّـهَا مَنَازِلَكَ الأُولَى وَفِيهَا المُخَيَّـمُ
وَلَكِنَّنَا سَبِيُّ العَدُوِّ فَهَل تَـرَى نَعُودُ إلى أَوطَانِنَا وَنَسـلَمِ
وَأَيُّ اغتِرَابٍ فَوقَ غُربَتِنَا التِي لَهَا أَضحَت الأَعدَاءُ فِينَا تَحكُمِ

ثمّ على هذه الأبيات متسائلا: كيف لا يكون العبد في هذه الدنيا غريبا وهو على جناح بسفر، لا ينزل عن راحلته إلا بين أهل القبور، فهل هو مسافر أبدا في صورة قاعد[3].

---

[1]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق ص200.

[2]: ينظر: ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ج3– ص:200 وانظر مختصر صحيح البخاري للإمام الزيدي الشركة الجزائرية اللبنانية الجزائر ط1 2007 ، ص: 533

[3]: ينظر: ابن قيم الجوزية–مدارج السالكين– ج3–ص 200 201.

والمتأمل في البيت الأول، وأرجو أن أكون مصيبا، يدرك أن هذه الأبيات تصلح لأن تكون عنوانا لغربة أهل الحق من العلماء والزهاد والمتصوفة فهم المدركون حقا لهذه الغربة التي اغتربناها عن اضطرار، بذنب أبينا آدم عليه السلام، ولذلك فالمهمة متجهة بكلتيها لدى العارفين إلى الدعوة هناك، ولا يحصل ذلك إلا بالعمل الصالح وما سيتتبعه من عناء وعوائق من النفس الإمارة، والنفس اللوامة، حتى الوصول إلى النفس المطمئنة أخيرا.

وهذه الرحلة شبه في بعض جوانبها رحلة الصوفي، فمحي الدين بن عزي يرى أن "أول غربة اغتربناها إلا إشهاد بربوبية الله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا، واتخذنا فيها أوطانا فاغتربنا عنها بحالة تسمى سفرا وسياحة إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ فعمرناه مدة الموت، فان وطننا، ثم اغتربنا عنه بالبعث... فلا يخرج بعد ذلك ولا يغترب وهذه هي آخر الأوطان إلى الإنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي"[1]

إن اغتراب ابن الجوزية من جنات عدن إلى الدنيا وأهوالها وقهر الاغتراب عند الامتثال لأمر الله حتى يمكن الرجوع إلى جنات الله، فزمانية الاغتراب عنده قصيرة إذا ما قيست بزمانية اغتراب ابن عربي، إذ تمتد من جنات عدن إلى زمن خلق آدم وأخذ بنية من ظهره وإشهادهم على أنفسهم بربوبية الله لهم، وذلك في قوله تعالى: "وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِيَّتَهُم وَأَشْهَدُهُم عَلى أَنفُسهم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدنَا أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَة إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِين"[2].

ثم توالت أحوال الغربة إلى أن عادت من حيث بدأت، ويرى ابن عربي أن الصوفي يسعى خلال مجاهدته لقهر الاغتراب الوجودي، وذلك بإفنائه عن طريق التحقق

[1]: ينظر: ابن عزي–الفتوحات المكية–ج2ص528 نقلا عن عبد الحق. منصف –أبعاد التجربة الصوفية–الحب–الاضات–الحكايا افريقيا الشرق –الدار البيضاء– المغربد.ط 2005 ص56.

[2]: الأعراف: الآية 172.

الإلهي أزلا[1]. يقول ابن العربي: "فأردت الرجوع إلى العدم "الثبوتي" فانه أقرب إلى الحق في حال اتصافي بالعدم مني إليهفي حال اتصافي بالوجود لما في الوجود من الدعوى، وطلب حالة الفناء عند الخلق للبقاء بالحق وهو أن يرجع إلى حالة العدم التي كان عليها فهذه غربة موجودة واقعة عنالوطن بغير اختيار العبد"[2].

إن وجود الإنسان في نظر ابن العربي ومن على شاكلته هو انفصام وجودي خرج به عن أصله الإلهي، لذلك نجد الصوفي يسعى من خلال تجربة الفناء لزحزحة الاغتراب يقول:" فمن كان وطنه العدم في القدم، كانت غربته الوجود"[3]، وبما أن الفناء حال من أحوال العدم عندهم، فان طلبهم الشهود (أي شهود الحق بالفناء عن كل الخلق والفناء عن الوجود يساوي الفناء عن الاغتراب المؤسس للوجود)[4].

والحقيقة أن تصوف ابن عربي ومن على شاكلته كالحلاج، وعفيف الدين التلمساني، وأبي يزيد البسطامي... الخ. تصوف غير سني ولا يتماشى مع كل الحقائق الإسلامية في الإسلام يدعو إلىإتباع سبيله للوصول إلى الحق كما رسمه الفوز بالجنة والبعد عن النار، أما تفلسف ابن عربي وحديثه عن الرجوع إلى العدم الثبوتي فما جاء به لا قرآن ولا سنة، وهو فوق ذلك موضوع فكري ذوقي، يجعل صاحبة يحيا على الهامش، هامش الحياة التي أمرنا أن نحياها كما أراد الله، ولذلك نرى أن الاغتراب الذي يجب أن يعنى به هو الاغتراب بمعناه الإسلامي الواضح وهو الاغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة، والاغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل، وقهر هذا الاغتراب يتم عن طريق مقاومة الحياة في جانبها المادي حتى لاتطغى علينا وذلك بترويض النفس وحملها على الطاعات والمجاهدات، و أما قهر السلطة السياسية فيكون بالأمر بالمعروف والنهي

[1]:ينظر عبد الحق منصف– أبعاد التجربة الصوفية– مرجع سابق ص55.

[2]:ينظر ابن العربي– الفتوحات المكية ج–2 ص528. نقلا عن عبد الحق منصف ابعاد التجربة الصوفية مرجع سابق ص55.

[3]:عبد الحق منصف–أبعاد التجربة الصوفية مرجع سابق ص55.

[4]: نفسه، ص 55.

عن المنكر (وظيفة العلماء)وأن انتشر الفساد بحيث لا يمكن إصلاحه فالعزلة منجاة وليست رب يحميه.

الاغتراب عند الفلاسفة:

وبعد أن تعرضت لشرح الاغتراب في مفهومه الإسلامي، ركزت على أهمية الانتقال إلى المفاهيم الفلسفية، فهو يبدأ كمفهوم فلسفي قبل أن يستخدم كمفهوم سيكولوجي. وكل من يتعرض للاغتراب كمفهوم فلسفي لابد أن يستوقفه كل من هيجل وماركس-ودوركهايم... وغيرهم من الفلاسفة: قلت أن هيجل استعمل التعبير الألماني لمفهوم الاغتراب Entfremdumg في كتابه "ظاهريات العقل الكلي"، وقد اهتم بقيام وحدة حقيقية بين أفراد يملك كل واحد منهم وعيه الذاتي، والفرد والمجتمع، لتجاوز النزاعات الناشئة بينهم. لذلك يصبح هدف مثل هذه الفلسفة استعادة الوحدة المفقودة بإجراء تحليل منتظم وموَّسع في طبيعة التناقضات في سبيل قيام الوحدة المطلوبة، وبخاصة تلك التي تحدث بين ما هو خاص وما هو عام أو كلي. ومن هذا المنطلق عرف هيجل الاغتراب بأنه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظَّف لصالح غيره بدلا من أن يسيطر هو عليها لصالحه الخاص[1].

وقبل ذلك اهتم الفيلسوف الألماني لودفيغ فيورباخ بمسألة الاغتراب عن المؤسسة الدينية، بل عن الدين نفسه أيضا معتبرا أن الإنسان يغترب عن نفسه لأنه يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه، وفي نفسه. من صفات على ما هو خارج عن ذاته. وفي نظر فيورباخ الذي تتلمذ على يد هيجل أن الدين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه أي الاغتراب الذاتي. بذلك يتصرف الإنسان واضعا نفسه تحت سيطرة مخلوقاته التي قد تتحكم به بدلا من أن يتحكم هو بها فيتحول الخالق إلى مخلوق، والمخلوق إلى خالق. بهذا يعكس الإنسان أفضل مافي نفسه من صفات وما لديه من قيم على الألوهية، فيصبح الإله صورة للكمال، ويتحول الإنسان إلى مثال للخطيئة والشر ويضيف أن مفهوم طبيعة الله

[1]: حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية:" متاهات الإنسان بين الحلم والواقع". مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى بيروت سبتمبر 2006.

ليس سوى مفهوم جوهر طبيعة الإنسان، فقد خلق الإنسان الله بحسب تصوّره جوهره الإنساني وبهذا أنكر نفسه ونسب إلى شيء ما أفضل ما في جوهره هو بالذات[1].

وبعد موت هيجل بسنوات قلائل حول ماركس مفهوم الاغتراب من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي-اقتصادي[2]، حيث انتقد ماركس الاغتراب عند هيجل فاعترض من حيث المبدأ على النظر إلى الإنسان باعتباره عقلا فقط أو وعيا بالذات. فأشكال الاغتراب التي يقدمها هيجل ليست إلا أشكالا مختلفة للوعي والوعي بالذات.

وهذا من وجهة نظر ماركس- (طرح خاطئ للإنسان الحقيقي) فالإنسان الحقيقي هو الذي يقف بقدمه الثابتة على الأرض ويستوعب وعزز قوى الطبيعية، ورغم ذلك نلاحظ أن ماركس يحذو حذو هيجل في تنظيره لمفهوم الاغتراب مع نقل هذا المفهوم من إطاره المجرد إلى الواقع الحسي المتعين[3].

والانتقال من التحديد إلي التعيين يرجع إلى اختلاف حول مسألة الطبيعة الجوهرية للإنسان إذ يرى ماركس أن العمل والحياة المنتجة هي التي تميز حياة الإنسان كنوع بالإضافةإلى الحياة الاجتماعية، أي الوجود في صحبة الآخرين والحياة الحسية، أي إشباع الحاجات ونشاط الحواس هذا من النظر إلى النشاط الإنتاجي بما يتفق مع الفردية، أي تميز الشخصية وتحقيق الذات[4].

وقد تمكن من أن يتجاوز المفاهيم المثالية للاغتراب في الفكر الأوروبي، وحلله في سياقه التاريخي، وفي العمل في المجتمعات الرأسمالية والأوضاع اللاإنسانية. وتوصل في نقده كتاب "فينومينولوجية العقل" أن يقلب هيجل رأسا على عقب بإتباعه منهج الاقتصاد السياسي ليظهر أن الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعته بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له، وتحديدا قال أن

---

[1]: السابق، ص 11.

[2]: السابق، ص 11.

[3]:محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني مرجع سابق ص45، 46.

[4]:السابق ص 46.

العامل في ظل النظام الرأسمالي يهبط إلى مستوى السلطة، وتزداد تعاسته بازدياد قوة إنتاجه وحجمها وقد توصّل من خلال نظريته هذه إلى تحديد أربعة جوانب من هذا الاغتراب:

1- اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته، فهو يعمل في المجتمعات الرأسمالية من أجل غيره، وليس من أجل نفسه.

2- اغترب عن عمله بالذات في المجتمعات الرأسمالية، إذ لاتختبر فيه أي اكتفاء ذاتي، بل يتنكّر لها أيضا ويشعر بالتعاسة.

3- اغترب العامل في المجتمع الرأسمالي عن الطبيعة نفسها التي هو جزء منها كما هي جزء منه، ومن الوعي الإنساني عندما حولها إلى وسيلة لسد حاجاته المادية، فأصبحت حياته وسيلة للعيش ولمجرد بقائه الجسدي.

4- اغترب أيضا في علاقته مع الإنسان الآخر لأنه يعمل ليس لنفسه بل لغيره، وتحت سيطرته. وقد يتحول العامل نفسه إلى سلعة يتم تبادلها في الأسواق، إذ يرتبط الناس بالسلع التي يتبادلونها وليس فيما بينهم كأشخاص[1].

وأما عالم الإجماع الفرنسي اميل دوركهايم شدّد فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية، وفقدانها السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه. وقد تم ذلك في أوروبا نتيجة الثورة الصناعية ومارافقها من ازدهار الروح الرأسمالية وإضعاف القيم والمعايير التقليدية، وهذا ما سمي " Anomie " أو "Normlessness" في مؤلفاته، فقد كان في الثانية عشرة من عمره عندما واجهت فرنسا هزيمة ساحقة من قبل ألمانيا في حرب 1870، ثم تبع ذلك سقوط الإمبراطورية الثانية ونشوء جمهورية فرنسا الثالثة، ولهذا لم يكن غريبا أن يهتم في مجمل أعماله بما قد يعزز مسائل الاندماج الاجتماعي والتمسّك بالقيم والمعايير المشتركة[2] .

[1]:حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية "متاهات الانسان بين الحلم والواقع" ص12

[2]: نفسه ص 12.

ثم إن الوجودية تناول عدة موضوعات تتصل عميقا بتجارب الاغتراب، منها تأكيد حق الاختيار وما يرافقه من مقولات المسؤولية والقلق والعبث والغربة والعجز والانتماء، كما أنها رسمت صورة للإنسان الحديث على أنه في الوجود كمسافر فوق بحر لا خريطة له، ويعيش في قلق مهما كان اتجاهه. لقد اختصر أبا الوجودية "كير كيغارد" تجربة هذا البحث المستمر بقوله "يغرز واحدنا إصبعه في التراب ليعرف من خلال رائحته في أي موقع هو أغزر إصبعي في الوجود لأكتشف أن لا رائحة له. أين أنا؟من أنا؟كيف وصلت إلى هنا؟ ما هو الشيء الذي يسمى العالم؟ من هو الذي ضللني إليه وتركني هنا؟ كيف بدأت أهتم بهذه المغامرة الكبرى التي يسمونها الواقع؟".

وذكرنا كذلك مفاهيم للاغتراب مستمدة من النظرة الفرويدية والتحليل النفسي، فقد صور فرويد الإنسان في ظل الحضارة الأوروبية كائنا مكبوتا مشوها قلقا مدفوعا بدوافع لا يعي كنهها، موزعا في صلب داخله، مطاردا بالشعور بالذنب، متنكرا لرغباته الطبيعية، مصابا بالتوهم، منشغلا بصحته النفسية ...الخ وفي تحليله هذه التوجهات والهموم، ينطلق "فرويد" من مقولة تشدد على وجود تصادم بين رغبات الإنسان ومتطلبات الحضارة، وبالتالي بينه وبين المجتمع والثقافة السائدة[1].

إن الاغتراب ظاهرة إنسانية كما اشرنا سابقا لا تختص بزمان أو مكان معينين، وإنما هي ظاهرة عامة في كل العصور والأمم وإذا كانت مظاهرها تحبوا وترتفع بحسب المجتمع وآليات وأنماط حياته السياسية والاجتماعية والثقافية، وهي من جهة أخرى لا ترتبط بالطبقة المستنيرة المثقفة ثقافة عالية فحسب، بل هي ظاهرة شمولية نجدها عند المثقف وعند الجندي، وعند الفلاح، وعند المتسول وعند الغني كما هي عند الفقير وتبرز في قمة المجتمع كما تظهر في قاعدته تختلف باختلاف المجتمع والبيئة وتتلون بألوان البداوة والحضارة ظاهرة لا يفوتها زمن ولا يفوتها مكان تظهر حيث يكون الإنسان.فالاغتراب ليس نقمة وليس نعمة، هو مكون من مكونات المجتمعات البشرية قديما وحديثا.

[1]: حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية "متاهات الانسان بين الحلم والواقع" ص12- 13.

الاغتراب في الشعر (قديما):

ومن نافلة القول وقبل أن نمضي في موضوعنا الاغتراب عند محمود سامي البارودي من خلال شعره أن نعرج على مظاهر الاغتراب عند الجاهلين، وذلك باعتبار الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة، تختلف في تحليلاتها من عصر لآخر، ومن شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى أخرى فالوقوف على الأطلال في مطالع قصائد الجاهلين تجلى واصح لاغتراب الشعراء، اغتراب يكشفه البكاء ويستنطقه الغياب والفقدان غياب الأحبة وفقدان دفئ المحبة والوصال يقول امرؤ القيس في مطلع معرفته.

قِفَا نَبكِ مِن ذِكـــــرَى حَبِيــبٍ وَمَنــزِلِ بِسِقطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ[1]

فَتَوَضُّح فَالمُقَــرَاةِ لَــم يَعَــف رَســمُهَا لِمَا نَسَجَتهُا مِن جَنُوبٍ وَشَمَائـِلِ

وُقُوفًا بِهَـــا صَحــبِي عَلَــى مَــطِيهِم يَقُولُون لاَ تَملِكُ أَسًى وَتَجَـــمُّلِ

وَإِنَّشِـــــــفَـــائِـــي عِبـرَةٌ مِــهرَاقَةٌ فَهَل عِندَ رَسمِ دَارِسٍ مِن مِعـوَلِ[2]

فامرؤ القيس يستوقف هنا صاحبيه، أو يجرد من نفسه أشخاصا يخاطبهم على عادة الشعراء، ليفضي من خلال ذلك بهمومه، فالديار أقفزت بالدخول فحومل، وهو تخنقه العبرة وصاحباه يطلبان منه التصبر واحتمال الفراق، ونفسه تحثه على البكاء علّه يجد راحة وعزاء، ولكن هل لسفح الدموع أمام آثار الديار من فائدة؟ لاشك أن الإجابة: لا ولذلك تبقى صورة الماضي تلاحقه وصورة الحاضر تؤرقه فيمسي ويصبح ضائعا تنتهبه الأشجان وتحاصره الذكريات وتنتهبه الأماني، والزمان ماضٍ لايأبه به وبأمثاله فلم كانت الحياة كذلك؟.

ونمضي مع امرئ القيس فحين فجع بوالده مقتولا بأيدي بني أسد قاتلهم فما بلغ ما يريد من قتلهم، لقلة ذات اليد، فاتجه الى قيصر الروم للاستنجاد به، فلما أوغل في

[1]: السقط: منقطع الرمل المستدق من طرفه. اللوى: الرمل الملتوي في تجمعه– الدخول وحومل: موضعات.

[2]:امرؤ القيس– الديوان– دار الطباعة والنشر بيروت 1972– ص29، 30.

الطريق، وهو مدفوع من الخلف ولا يستطيع الرجوع إلا إذا أتم عمله –الأخذ بثأر أبيه وقتل أكبر عدد ممكن من بني أسد، تنكر أهله وانتهبته الفاجعة لفراقهم فقال:

تَذَكَّرتُ أَهلِي الصَّالحِينَ وَقَد أَتَت عَلَى خملي خُوص الرِّكَابِ فَأَوجَرَا[1]
فَلَمَا بَدَت حَورَان وَالآل دُونَهَا نَظَرتُ فَلَمُنْتَظِرُ بِعَينِكَ مَنظَرا
تَقطَعُ أَسبَابَ اللّبَانَة وَالهَوَى عَشِيَّة جَاوَزنَا حَمَاة وَشِيزَرا[2]

إذ انفطر قلب الشاعر بمجرد أن أوغلت به السبل حيث هو مدفوع وتقطعت كل سبل الاتصال بأحبابه بعد أن نأى به البعد أصبح السراب يحجب عنه من ألفه من مدن وبلدات، وكان هذا السراب نذير شؤم له، فقد عاد بلا مدد من الروم، ومات في الطريق بمكان يسمى عسيب وقبل أن تفارقه روحه رأى قبر فتاة رومية وأيضا أنه سيدفن جنبها فقال:

أَجَارَتنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتنَا إِنَّا غَرِيبَان هَا هُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبُ
وَلَيسَ غَرِيبًا مَن تَنَاءَت دِيَارُهُ وَلَكِن مَن وَارَى التُّرَابَ غَرِيبُ[3].

وهنا يكشف امرؤ القيس عن فلسفته عن الغربة أو لنقل مراتب الغربة فهو غريب يدفن ببلاد الغربة، والمرأةالمدفونة قبله غريبة عنه، وفوق هذه الغربة غربة الموت !

المجهول القاحل للشاعر، ولمن يقرأ شعره، أكان امرؤ القيس يؤمن بنوع من البعث والنشور؟ أم كان دهريا؟ لا يمكن التكهن، التكهن الوحيد هو أن امرؤ القيس عانى التمزق والضياع والموت والحسرة.

وإذا انتقلنا إلى نمط آخر من الاغتراب الذي عاشه العربي قبل الإسلام، والذي فرضته البيئة الاجتماعية والعرف العام وهو الاغتراب العنصري ويمثله عنترة بن شداد أحسن تمثيل، فأبوه عربي صميم من بني عبس وأمه زبيبة حبشية سوداء اللون، فأبى

[1]: خملي و أوجرا: مرضعان.

[2]:امرؤ القيس –الديوان–مصدر سابق ص93، حوران وشيزرا وحماة: أسماء بلدات.

[3]: نفسه ص79.

والده أن يستلحقه بنسبه لان ذلك يجر عليه العار فأورث هذا السلوك اغترابا عميقا في نفسية عنترة، فما له وللأقدار التي جاءت به على هذا الشكل؟وما بال قومه يرضونه راعيا لأنعامهم ويسلبونه حق المواطنة؟ وعندما يجسد بمثابرته وقوة نفسه قهر هذا الاغتراب ويصبح فارس عبس الأول وبطلها الأمجد الذي بنا مفاخرهم بين القبائل إذا بهم ينزلونه بحيث كان فيثور، ويثور معه الشعر ناقلا لنا الأحاسيس العنصرية والفئوية العرقية البغيضة يقول:

بِعُبُونِ لَونَي بِالسَّوَادِ جَهَالَةً وَلَولَا سَوَادُ اللّيلِ مَا طَلَعَ الفَجرُ[1].

وأعتقد أن في البيت فخرا اذ في البيت فخرا بقدر ما فيه من حزن على لونه الذي جعله قومه عنوانا على صنعته وانحطاط منزلته عندهم ولكنه يرى وان وخزه ذلك صاحب هذا السواد هو الذي يأتيهم بالنصر، فلولا وجوده لطال ظلام عبس وأحزانها التي جلبتها عليها حروبها مع تبيان غيرها، فالمعارك ظلام على عبس وعنترة جلاؤها ولكن ألسنة قومه تأبى السكوت وتمادت في الحط من قدره فذكرهم أمجاده، التي اعتبروها أمجادهم، إذ لولاه لما كانت يقول:

اذكرُ قَومِي ظُلمَهُم وَبَغيـــــَهُم وَقِلّة إنصَافِي فِي القُربِ وَالبُـــــعدِ

بَنَيتُ لَهُم بِالسَّيفِ مَجدًا مُشَيَّدًا فَلَمَا تَنَاهَى مَجدُهُم هَدَمُوا مَجدِي[2].

ففي هذين البيتين صور عنترة لؤم الناس –خلق بشري دائم وحرصهم على ماينفعهم ودرء ما يؤذيهم بكل طريقة، ولو أدى بهم الأمر إلى مايكرهون ولكن ما إن يحصلوا على ما أرادوا حتى ينقلبوا على أعقابهم ويعودوا إلى ذواتهم الحقيقية المفعمة بالتعالي الزائف والفخر بما ليس لهم فيه يد أو حيلة، ولكن عنترة ظل كالجبل الأشم فهو يدرك حقيقة نفسه ويدرك حقيقة الآخرين.

وهناك فئة ثالثة من الناس عاشوا في الجاهلية غرباء فاغتربوا إنهم الشعراء الصعاليك، فهذه الفئة من الناس فرضت عليها حياة متميزة، فبعضهم فرض عليهم

[1]:عنترة بن شداد –الديوان– تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شيلي المكتبة التجارية القاهرة د.ط.ص89.

[2]: عنترة بن شداد –الديوان– تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شيلي المكتبة التجارية القاهرة د.ط.ص62.

الاغتراب وخلعوا عن قبائلهم لأنهم لم يلتزموا بأعراف قبائلهم وتقاليدهم وبعضهم فرض عليهم لأنهم أبناء إماء سود كالشنفري وتأبط شرا والسليك بين السلكة.

وبعض الصعاليك اختاروا الاغتراب طواعية عن قبائلهم بسبب الظلم الاجتماعي والاقتصادي المسلط عليهم، ويمثل هذه الفئة الصعاليك الفقراء المتمردون، وعلى رأس هؤلاء عروة بن الورد العبسي وكما كان الصعاليك أفرادا من قبائل مختلفة، كانت هناك قبائل مصعلكة كلها مثل قبيلة هذيل التي كانت تنزل حول مكة[1]. ومهما اختلفت الأسباب المؤدية إلى اغتراب هؤلاء الناس إلا أن هناك ما يجمعهم فقد جمع بينهم الفقر والجوع، والتشرد، وقد كثرت أشعارهم التي ذكرت الجوع كثرة مفرطة، وقد يبين ذلك سبب تمردهم فاتخذوا القوة وسيلة لتحقيق أهدافهم لأنه لم يعد لهم سبيل غير ذلك، لأنهم فقدوا توافقهم الاجتماعي." ظاهرة التوافق الاجتماعي هي الظاهرة التي يقرر علماء الاجتماع أنها الأساس الذي تقوم عليه الصلة بين الفرد والمجتمع بحيث يكون عمل الفرد من أجل صالح المجموع كما يكون عمل المجموع لصالح الفرد، وفقدان هذا التوافق الاجتماعي ينتهي بالفرد عادة إلى أن تكون صلته بمجمعه قائمة على أساس سلوك صراعي[2].

وقد أدى هذا التصدع بين الصعاليك والمجتمع القائم إذن إلى بروز الأسباب التي دعت هؤلاء الصعاليك الى مسلكهم ذاك وقد بدا ذلك في أشعارهم، فمن ذلك الفقر الذي يجعل الإنسان في أسفل السلم الاجتماعي، ويجعل الغني في أعلاه، يصور ذلك عروة بن الورد في أبيات يخاطب فيها زوجته يقول:

ذَرِينِي لِـــــلغِنَى أَسعَى فَإِنِّي ... رَأَيتُ النَّاسَ شَرهُم الفَقِيرُ

وَأَحقَرُهُم وَأَوهَـــــنَهُم عَلَيهِم ... وَإِن أَمسَى لَه حَسَبٌ وَخَيرُ

يُبَاعِدُهُ القَرِيبُ وَتَـــــزدَرِيه ... خَلِيلَتَهُ وَيَنهَرهُ الصَّـــــغِيرُ

وَيَلقَى ذُو الغِنَى وَلَه جَلاَلُ ... يكَادُ فُؤَاد لاقيه يَطِـيُـــــر

[1]:ينظر: شوقي ضيف –تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي دار المعارف– مصر ط5 1971، ص375.

[2]: يوسف خليف –الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص55–57 نقلا عن د.سميرة سلامي –الاغتراب في الشعر العباسي دار الينابيع دمشق. وعروة الورد ديوان. دار صادر بيروت 1953 ص58 .

قليل ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَـــــم وَلَكِن الغِنَى رَبٌ غَفُـــــــورُ[1].

فالأبيات كما نرى تفضح هذا المجمع الذي لا يهتم بجوهر الإنسان وأخلاقه، بل يتمسك بالمظاهر المادية، فهو مجتمع يحتقر الفقير لا لذنب سلف منه ولكن فقط لأنه فقير، ومن الكبير والصغير وحتى من الزوجة بينما يغفر للغني كل عيوبه مهما كثرت، وهي مقاييس جاهلية وليس المراد بالجاهلية، الفترة الزمنية المعروفة، بل الجاهلية بمعنى الانصراف عن جوهر الحقائق الثابتة، وإتباع المظاهر الزائفة وما أكثرها، فهذا عروة بن الورد الفقير يتصعلك ويقطع الطريق على الناس ويسعى لإسعاد الفقراء والمساكين بما تصل إليه يداه من خير، ويلحم نفسه عن الاستفادة من ذلك لأن نفسا أبية تسكن ذلك الجسم الشاحب المرهق، تربؤ به أن يدع الفقراء واليتامى يتضورون جوعا ويأكل ما يأكل هنيئا. يقول مخاطبا رجلا يسخر من شحوبه وذبوله:

أَتَسخَرُ مِنِي أن سمنت وَأنتَ تَرَى بِوَجهِي شُحُوبَ الحَقِّ وَالحَقُّ جَاهِدُ

أَقسِمُ جِسمِي فِي جُسُومٍ كَثِـيــرَةٍ وَأحسُوا قِرَاعَ المَاء وَالمَـاءُ بَـــارِدُ[2]

ففي هذين البيتين "تصوير رائع لفكرة إنسانية رفيعة، فهو يرد على من يسخر من شحوبه ونحوله، بأن شحوبه أثر من آثار كرمه وعدله ومثله العليا، فطعامه يشركه فيه كل الفقراء، المحتاجين فكأنه يقسم جسمه في جسومهم، والخليق بالسخرية ذلك السمين الشحيح، الأناني الذي لا يشرك أحد في طعامه وماله[3]. ونلاحظ في البيتين السابقين دعوة إنسانية قديمة حديثة وهي العدل والمساواة والتكافل الاجتماعي، وبذلك يكون الشاعر الصعلوك أول من دعا الى الاشتراكية بين الناس، بل أول من طبقها وإن في محيطه الخاص.

وإذا انتقلنا إلى الشنفري وجدنا عالما آخر من الاغتراب القاسي فهو أولا ولد من أمة سوداء فأورثته سوادها، ومعنى هذا أنها أورثته العار بحسب مقاييس القبائل في ذلك الزمان، فنشأ نشأة غير سوية وكيف تكون سوية ونظرات الاحتقار لا تفارقه، والكلام

[1]: عروة بن الورد –الديوان– دار صادر البيروت 1953–ص:58.

[2] : السابق –الديوان– ص31 –32.

[3]: سميرة سلامي –الاغتراب في العصر العباسي– دار الينابيع، ط1.

البذيء هو ما يملأ جسمه، فنشأ ناقما على كل شيء، على العالم والأقدار لأنها حضنته بالسواد وبالتالي بالهوان فلماذا كان ذلك؟ ثم لماذا خص مرة أخرى بالاحتقار من المجتمع ألا يكفيه سواده بين أناس بيض؟ ثم ما الذي جنته يداه حتى تتخلى عنه قبيلته حتى يحن إلى الوحش بدلها؟ لاشك أن التميز العنصري الذي كان فاشيا عند العرب في الجاهلية تجاه كل من هو أسود كان النبتة التي نمت وتفرعت وسكنت كل جوانحه فحقد على قومه حقدا دفينا ثم اجترم جرما لم يذكره الرواةما هو، فازداد عنه ازورارا، فلما رأى ذلك واستيقن بثقله على القومخاطبهم بقوله:

أَقيمُـوا بـَنـِـي أَمـــي صُـدُورَ مَطِيـِّكُـم فَإِنِّي إِلـى قَـــومٍ سِـــوَاكم لَأَميل
لَعَمرُك مَا فِي الأَرضِ ضِيقٌ عَـــلى امرِئ سَرَى رَاغِبًا أَو رَاهِبًا وَهُو يَعقِلُ
وَلِي دُونَكُـــــم أَهـــُـــون سَيِّد عَمْلَـسْ وَأَرقَطَ زَهلُولٍ وصَـفـرَاء جَيأَل
هُم الأَهْلُ لا مُســـتَودَعُ السِـــرِّ ذَائـــعٌ وَلا الـجَاني بمَـا جَـــرَّ يُـخذَلِ[1].

لقد طلب الشنفري قومه بالرحيل والابتعاد عنه، أما هو فقد عزم على المغادرة، وماله لا يفعل؟ ففي الأرض متسع فلماذا لا يرحل والفضاء رحب يوفر لأمثاله من الراغبين أو الهاربين كل ما يحتاجون إليه من السكينة والمتعة، إذا عجزت قبائلهم عن فعل ذلك أو كانت السبب في ذلك الإرهاق والدعوة إلى التحول وللتحول مزايا، ففي الفيافي أهل، وأي أهل، لا نميمة بينهم ولا سر يكشف ولا المذنب يؤخذ بذنبه أو يسلم لغيره، إنها الطبيعة في تمام عذريتها لم يدنسها نفاق الإنسان، فهو أحق بها من غيره، فهو مدفوع بشر البشر وغدرهم، فيتخذ الحيوانات القفار أهلا فهل في صحبة الذئب أو النمر أو الضبع ما يشين؟، بالطبع لا، فهي لا تفشي الأسرار ولا تتعالى على الآخرين بالمجد الزائف ولا تأكل إلا حين تجوع، فهي لا تجمع الذخائر ولا ترفع طعام اليوم إلى الغد، فلكل أوان حركة، ولكل فعل ما يماثله، فمن جاع منها اصطاد وان شبع أوى إلى مأواه لايجمع ولا يطمع.

ويبدو أن الشنفرى قد تحرّى كثيرا في حياته، فوجد أن أفضل شيء يفعله أن يعتزل المجتمع وأن يوطن نفسه على ذلك من توحد وانفراد، وخوف وجوع، ووحشة وقد صور ذلك كله في لاميته يقول عند فقده لمن يجزيه عند الحسنى:

[1]: ينظر: أبو على القالي كتاب ذيل الأمالي–دار الأفاق الجديدة بيروت.1980 ص305.

وَإِنِي كَفَانِي مَن لَيسَ جَازِيًا بحسنَى وَلَا فِي قَربـــــه مُتعَلل

ثَلَاثَة أَصحَابُ فُؤَادٍ مُشَيــع وَأَبيضَ أَصلَيْتُ وَصَفْرَاء جِيَال[1]

فقد استعافى عمن ليس في صحبته نفع وإحسان بثلاثة أصحاب قلب شجاع لا يأبه لما يلقى، وسيف صقيل حاد أعده لمن عاداه، وقوس صفراء طويلة، تنطلق منها السهام حيث أراد، وما أفضلها صحبة فهؤلاء ينوء بها أبدا، بل تقدم له كل ما يحتاجه، فبالقلب الشجاع يسري في الظلام، وبالسيف يدافع عن نفسه من أراد به سوءا من الإنسان أو الحيوان، وبالقوس يرسل سحائب من نباله على من يشاء من أعاديه والشنفري بشر يصيبه ما يصيب الناس وبخاصة من كان في مثل وضعيته فكثيرا ما يصاب بالجوع الشديد فلا يجد ما يسكن به ألمه إلا أن يسف التراب.

وهكذا نرى من خلال النماذج الثلاثة التي قدمناها (عنترة، عروة بن ورد، الشنفري) أن الصعلوك قد استطاع أن يتغلب عن اغترابه عن طريق البطولة والفروسية، وعن طريق الإغارة وإفزاع من أفزعه وأرهبه أو عن طريق رسم طريق جديدة في الحياة الاجتماعية وذلك بإغاثة الفقير وإعانة المسكين، وإدخال الفرحة على أصحاب القرح أو عن طريق مقاطعة الناس لقد اكتسبوا طبعا ثانيا، رضوه لأنفسهم، بتحقيق ذواتهم والتغلب على اغترابهم لأنهم لم يهنأ لهم مقام بين قومهم فتحولوا.

ويأتي الإسلام فيجعل للمرء هدفا يزيح عنه الاغتراب النفسي ويحكم الأواصر بين أفراده فينفي الاغتراب الاجتماعي، ويجعل للفقير حق في مال الغني يدفعه له بطيب خاطر فيبعد عنه الاغتراب الاقتصادي فتصبح النفس مطمئنة راضية، ويزهد الشاعر الذي تحركه المشاعر في قول الشعر، ولكن سرعان ما يتغير حال المجتمع بعدما تقلبت أحوال البلاد وكثرة الصراعات وتنافس الناس من أجل الدنيا الفانية فعاد الشعراء ليعزفوا لحن اغترابهم بعدما خالجهم الشعور بالإقصاء ولا انتماء. ففي العصر الأموي يمثل "جرير" قمة الاغتراب الاقتصادي فعلى الرغم من أن الشاعر كان من شعراء البلاط الأموي إلا أنه اكتوى بنار التجربة، وعانى من الاغتراب الاقتصادي الذي دفع به دفعا

[1]: ينظر: أبو على القالي كتاب ذيل الأمالي–دار الأفاق الجديدة بيروت 1980 ،ص 303،304.

شديدا إلى اتخاذ الرحلة وسيلة ونمطا لمعالجة اغترابه[1]، فقصد الخلفاء واشتكى ضيق الحال وضياع العيال، فأهمهم تنتظره لاطمة خدها لشدة ما تعانيه مع صغارها الجياع:

أَشكُو إِلَـيكَ فَاشْكِـــنِـي ذُرِيَّـــةً لَا يَشبَعُونَ وَأُمُّهُم لَا تَشـــبَـــعُ
كَثَـرُوا عَـلَـيَّ فَـمَـا يَمُوتُ كَبِيرُهُم حَتَى الحسَاب وَلَا الصَّغِير المُرضِع
وَإِذَا نَظَـرتُ يُـرِيـبنِي مَـــن أُمُّـهُم عَـــينُ مُهجَة وَخُـد أَسـفَـح
وَإِذَا تقَسَّمت العِيَـال عُيُـــونَهَـا كَثُرَ الأَنِينُ وَفَاضَ مِنهَا الدَّمـــعُ
رَشَّنِي فَقَد دَخَلَت عَلى خَصَاصَـــة ممَا جَمَعَت وَكُل خَيرٍ تَجـــمَـع[2]

فالشاعر لم يجد بدا من أن يشكو حاله، فيمد يده مستجديا لسد رمق عياله، وليس أشق على النفس الحر من أن يرى نفسه يتذلل من أجل لقمة، وهذا ما ينكأ جرحه النفسي أكثر.

ولا يمكن المرور على العصر العباسي دون الوقوف عند أبي العلاء المعري، فقد زادت ظلمة عينيه بزيادة اغتراب رحه، فصار لا يرى إلا ضلال الناس وظلمهم:

رَأَيتُ الحَقَّ لُـؤلُـــؤةً تَـوَارَت يَلِجُ مِن ضِلَالِ النَّاس جم
وَقَد يَلقَى الغَرِيبُ عَلَى مَن وَلَاه أَعَزَّ عَلَيكَ مِن خَالٍ وَعَـم[3]

ولا يشعر بغربة الغريب إلا من ذاق مرارة الغربة وعانى ألامها، فصارت نفسه تبحث عمن شاركها غربتها ويقاسمها لوعتها وقد يجد غريب المكان من يواليه فيكون اعز من قرابته وأهله.

أما هناك في الأندلس فشعراؤها حملوا اغترابهم معهم، فكانت النخلة رمزا لمدى تعلقهم بجذورهم وحنينهم لأهلهم وأحبتهم وهذا ما نطقت به قريحة "عبد الرحمن الداخل" وهو يرى نخلة وحيدة وسط الرصافة:

---

[1]: فاطمة محمد حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الاموي: مكتبة مدبولي، مصر، ط: 1 سنة 1997 ص6.

[2]: أشكني : اقبل شكواي، المهجة: الغائرة، الأسفع: المضروب.

[3]:أبو العلاء المعري–الديوان– تحقيق محمد عبد الرحيم دار الكتب الجامعية بيروت.لبنان المجلة التالثة دط.1993.ص48.

تَبَدَّت لَنَا وَسَطَ الرَّصَافَة نَخـــــلَةٌ تَنَاءَت بِأَرضِ الغَربِ عَن بَلَد النَّخلِ
فَقُلَت شَبِيهِي فِي التَغَرُّب وَالنَّوى وَطُول التَنَائي عَن بَنِي وَعَن أَهــلِي
نَشَأتِ بِأَرضٍ أَنتِ غَرِيبـــــــةٌ فَمِثلُك فِي الإقصَاء وَالمـنتأى مِثلِي[1]

في الأحداث السياسية التي عصفت بالدولة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها كان لها الأثر البالغ في نفسية الشعراء، ولقد عمقت الفرقة والمكائد والحسد بالاغتراب أكثرا و'ابن زيدون" واحد من هؤلاء الذين اشتعلت أكبادهم بلهيب فرقة أحبتهم، وامتلأت قلوبهم جراحا من سهام حسادهم، فبكوا اغترابهم المكاني، والعاطفي والاجتماعي:

قَد مَلَأَ الشَّوقُ الحَشَا نُدُوبًا فِي الغَربِ إِذ رُحتَ بِه غَرِيبًـــــا
عَلِيل الدَّهرِ سَامني تَعذِيبا أَدنَى الضَنَى إِذ أَبعَدَ الصَّبِيبَـــــا
يَبرُدُ حَرُّ الكَبِدِ المَشبُوبَـــا يَا مُـــــــتعبَا أَسَـــادَهُ التَّـأوِيبَا
مُشرِقا قد سَئِم التَغرِيبَـــا أَمَا سَمعتَ المَثَل المَضـــــــرُوبَا
لَم بات يَدرِي لَيله الغربيبا لمَا انثنى فِي سُكرِه قَصِيبًـــــــا[2]

ولقد ادلهمت خطوب الأندلس وزادت لياليها حلكة وظلمة بعد أن استشرى الوهن في جسد الأمة الإسلامية، فانقسمت وتشتت أمرها فسهل على أعدائها افتراسها، فسلبوا أرصها ودنسوا عرضها، فبكى أهلها اغترابهم الديني. وشكوا حالهم قائلين:

وَكُلُّ كِتَابٍ كَانَ فِي أَمْرِ دِينِنَـــا فَفِي النَّارِ أَلْقَوْهُ بِـهُزءَةٍ وَحُـقْرَةٍ
وَلَمْ يَتْرُكُوا فِيهَا كِتَابًا لِمُسْـلِـمِ وَلَا مُصْحَفًا يَخْلَى بِهِ لِلْقِـــرَاءَة
وَمَنْ صَامَ أَوْ صَلّى يَعْلَمُ حَالَـــهُ فَفِي النَّارِ يَلْقَوْهُ كُلَّ حَالَـــــــةٍ
وَمَنْ لَمْ يَجِئْ مِنَّا لِمَوْضِعِ كُفْرِهِمْ يُعَاقِبُهُ اللّبَاطُ شَرَّ العُقُوبَـــــــة
وَيَلْطِمُ خَدَّيْهِ وَيَأْخُـــذُ مَالَـــــهُ وَيَجْعَلُهُ فِي السِّجْنِ فِي سُوءِ حَالَةٍ
وَفِي رَمَضَان يُفْسِدُونَ صِيَامَنَا بِأَكْلٍ وَشُرْبٍ مَـــرَّةَ بَعْدَ مَـرَّةٍ[3]

[1]: ينظر: ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر بيروت.لبنان المجلد الثالث د.ط.1993، ص48.

[2]: ابن زيدون: الديوان–تحقيق الطيب عشاس، جعفر ماجد الشركة التونسية للتوزيع د.ط،دت، ص51.

[3]: ينظر: محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهضة والسقوط، دار المعرفة لبنان ط5 سنة 2008.ص192.

والاغتراب أصعب على نفس المؤمن من العيش تحت سطوة كافر يسلبه أرضه ويمنعه من أداء شعائر الدين.

الاغتراب في الشعر (حديثا):

وظل الاغتراب بأنواعه المختلفة ملازما للشاعر صاحب الحس المرهف، ولم يسلم منه شعراء العصر الحديث نظرا لما تعرضت له المنطقة من استعمار للبلاد واستدمار للقيم الاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها فها هو "السياب" تتجلى غربته الحادة كما يتجلى إيمانه لوطنه، إلى جانب ذل حاله يقول الشاعر:

الرِّيحُ تَلْهَثُ بِالهَجِيرَةِ كَالحِثَامِ عَلَى الأَصِيلِ وَعَلَى القِلَاعِ تَظَلُّ تَطْوَى أَوْ تَنْشُرُ لِلرَّحِيلِ

زَحَمَ الخَلِيجُ بِهِنَّ مُكْتَدحون جابوا بِحَـــــارَ مِنْ كُلِّ حَـــــــــافٍ نِصْـفَ عَــادِي[1]

فهؤلاء الذين يجوبون البحار يحملون معهم فقرهم، وحاجاتهم لم يجدوا غير الرحيل فهو قدرهم، والغربة تناديهم في كل لحظة من حياتهم، والاغتراب يحتويهم فلا يترك لهم مجالا لرؤية ما وراء الأفق، صورة تكاد لا تفارق مخيلة أي شاعر عربي، فمرة يمسّ قلمه،ومرة يمس جرحه والبياتي صاح ولم تجد إلا الوحشة تغمره:

يَجِدُ بِلَا وَعْدٍ أَصِيحُ يَا أَنْتَ

تَغْمُرُنِي وَحْشَةً وَاللَّيْلُ لَمْ يَأْتِ

أما شعراء الجزائر فقد فاقت غربتهم كل غربة، فقد ذاقوا مرارة البعد والنوى عن الأهل والأحباب إذ تركوا بلادهم اضطرار فهدا "الأمير عبد القادر" الذي واجه فرنسا وسامها من نضال سفيه سهام الموت يتخطف قادتها، تنزل اليوم عبارته بعد أن اتقدت نار الشوق بين ضلوعه:

تَذَكَرْتُ وَشْكَّ البَيْنَ، قَبْلَ حُلُـــــولِهِ فَجَـــادَتْ عُيُـــونِي بِالدُّمُوعِ عَلَى الخَـدِّ

وَفِي القَلْبِ نِيرَانٌ تَـــأَجَّـــجَ حَـــدَّهَا سَرَتْ فِي عِظَامِي، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى جِلْدِي

وَمَالِي نَفْسٌ تَسْتَطِـيعُ فِـــرَاقَـــهُم فَيـَا لَيْـتَ قَبْـلَ البَيْنِ سَارَتْ إِلَى اللَّحْدِ

[1]:محمد راضي جعفر: الاغتراب من الشعر العراقي(مرحلة الداود) دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة1999 ص.24.

إِلَى الله أَشْكُو مَا أَلَاقِي مِنَ النَّوَى وَحَمْـــلِي ثَقِيـــــلُ لَا تَقـــْدَمْ بِهِ الأَيْدِي[1]

أما الهاشمي عبد القادر بن محمد فيرى في يتمه اغترابا وينادي الطير الدائم الترحال ليسمع شكواه، ويشاركه ألمه.

خَطّ العَذَابِ عَلَى الجَبِينِ رُسُـــومًا مُذْ صِرْتُ فِي دُنْيَا الحَيَاةِ يَتِيمَا

يَاطَيرُ قِفْ فِي الجَوِّ وَاسْمَع شَكْوَتِي فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ لِلْغَرِيـبِ جَـحِـيمَا[2]

أما إذا نزلنا عند محمد آل الخليفة، وجدناه يتقلب بين نيران الاغتراب فما بين صوفيته وبين إصلاحات جمعية العلماء المسلمين يعيش ما بين وبين، لكن غربة الاستعمار جعلته يتخطى اغترابه المتنوعة، وشَهَرَ سيف الكلمة فيوقظ الهمم النائمة ويجعل زوال الاغتراب بزوال المستعمر ويدوي صوته مزلزلا عرش الطغيان:

الأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَطـــَالَ عَـــنَائُكُمْ فُكُّوا القُيُودَ وَحَطِّمُوا الأَغْلَالَ

وَالشَّعْبُ ضَجَّ مِنَ المَظَالِمِ فَانْشُدُوا حُـرِيَّةً تَحْـــمِيهِ وَاســـْتِقْلَالًا

لَا أَمْنٌ إِلَّا فِي ظِـــــلَالِ مَرْفُـوفٍ حُـرٌّ لَنَـا عَـــالٍ يُنِيرُ هِلَالَ[3]

وجاء الاستقلال وما رحل الاغتراب، ويئن شباب الجزائر من شدة وطأته عليهم يقول جمري بحري:

يَئِنُّ

يَئِنُّ القِطَارُ

يَمُرُّ لَفِيفُ الأَمَانِي عِجَافَا

يُعَانِقُهُ الاغْتِرَابُ[4]

---

[1]:محمد راضي جعفر: الاغتراب من الشعر العراقي(مرحلة الداود) دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة1999 ص:27.

[2]: عبد القادر الجزائري–الديوان– تحقيق زكريا صيام ديوان المطبوعات الجامعية ،ص141–142.

[3]:محمد العيد آل خليفة: الديوان. المؤسسة الومنية للكتاب الجزائر الطبع3، ص339.

[4]: حسن فتح الله: "شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق" المؤسسة الوطنية للكتاب –.ط 1987ص156

أما محمد زيتلي فقد أوغل فيه الاغتراب فهو منذ البدء كان غريبا، وبحثه دائم مستمر عن لحظة استقرار

غَريبًا مِن البَدء كُنتَ
وَهَا أَنَذَا مُوغِل فِي التَغَرُّب
أَبحَثُ عَن لَذّة للضَيَاعِ المُرَكَّب
عَن سَفَرِي يَنتَهِي فِي زَوَايَا صَمتِي[1]

وتبقى ظاهرة الاغتراب سمة واضحة ترافق الشاعر العربي في كل العصور مِؤكدة على شفافية إحساسه، ورقة مشاعره.

[1]: حسن فتح الله: "شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، ص168.

أبعاد الاغتراب:

ومعظم الاستخدامات المعاصرة للمصطلح تتفق على أن الاغتراب ظاهرة متعددة الأبعاد، فشعور الفرد بالانفصال عن ذاته أومجتمعه تصاحبه مظاهر عديدة مثل الشعور بالعزلة، ولاشيء، واللامعيارية، والإحساس بالعجز، وفقدان المعنى أم اللامعنى، والتمرد وفقدان الهدف أو اللاهدف.

ويرى معظم الباحثين أن هذه الأبعاد أو المظاهر هي التي تساعد على فهم ظاهرة الاغتراب، باعتبارها ظاهرة مركبة أو بدون هذه الأبعاد لا نستطيع التمييز بين ظاهرة الاغتراب أو الظواهر النفسية المتشابهة مثل الانطواء والوحدة.

ولذلك نحاول فيما يلي إلقاء بعض الضوء على أهم هذه الأبعاد:

1- العجز

يقصد به شعور الفرد باللاحول واللاقوة، وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وبالتالي لايستطيع أن يقرر مصيره، فمصيره وإرادته ليس بيديه بل تحددهما عوامل وقوى خارجة عن إرادته الذاتية، كما لا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أو صنع القرارات المصيرية الحياتية، وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخضوع[1].

وجوهر العجز أو فقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليهما ظروف خارجية أقوى منه ومن إرادته.[2]

[1]:عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في بسيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشرط1،سنة 2003 ص36.

[2]: نفسه ص 36.

2- اللامعنى:

استخدم هذا المفهوم على أنحاء شتى في الفكر الوجودي، حيث يرى سارتر :"أن اللامعنى هو العبث الذي يعرفه بأنه كل ماليس له معنى، وأن وجود الإنسان عبثوأن مشروعاته وأفعاله كلها عبثية".

الحياة عند سارتر تمضي بغير معنى، وأنها عبث، وأن العبث هو فقدان المعنى،والمضي في الحياة بدافع من الضرورة، وأن كل شيء جائز، وأن الحياة في حقيقتها تافهة، والإنسان وحده الذي يجعل لها قيمة.

ويتبلور هذا المفهوم في شكل نظرية نفسية عند فرانكل Fränkel ، تقوم على أن حياة الإنسان تتمركز حول إرادة المعنى والتي من خلالها يحقق الإنسان المعنى والجدوى والهدف من الحياة، ويرى انه إذا ما غاب عن الإنسان الإحساس، بمعنى الحياة فانه يخير الفراغ الوجوديExistentialVacum والذي يعني أن الحياة أصبحت رتيبة مملة وأنها تسير بغير معنى أو هدف[1].

وبوجه عام يرى الفرد المغترب وفقا لمفهوم اللامعنى أن الحياة لامعنى لها لكونها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، وبالتالي يفقد واقعيته ويحيا باللامبالاة[2] .

3- اللامعيارية (الأنوميا) : NORMALESSNES

أخذ "سيمان" اللامعيارية من وصف "دور كايم" لحالة الأنومي Anomie التي تصيب المجتمع، وهي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه. وقد ظهر مصطلح الأنومي في اللغة الانجليزية في عام 1591م تقريبا، والأصل الإغريقي لهذا المصطلح هو Nomos.

[1]:محمد عباس يوسف: الاغتراب والابداع الفني ص: 24

[2]:عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات سيكولوجية الاغتراب ص37

ويترجم في الغالب مثل مصطلح Custom بعادة أو طريقة وطراز وعمل وقانون،وبإضافةA للمصطلح تعني الكلمة عكسها، وقد صار المصطلح الإغريقي المصطلح اللاتيني Mos، والذي أعيدت تسميته فصار Mores سنن أو معيار Normفي أعمال وليم جراهام سمنر[1] .

وعليه فهو يعني اهتزاز القيم والمعايير داخل المجتمع، نتيجة الانهيار الذي قد يلحق بالبناء الاجتماعي، واتساع الهوة بين أهداف المجتمع وقدرة الفرد على الوصول إلى هذه الأهداف.

واللامعيارية ترتبط بتبدل القيم، حيث تهتز القيم المستقرة في حياة المجتمع، وتنهار ليحل محلها قيم أخرى مادية ومتدنية، مما يصيب الفرد بحالة من عدم الاستقرار أو عدم التوازن النفسي[2].

4- العزلة الاجتماعية: Social isolation

هي انسحاب الفرد وانفصاله عن تيار الثقافة السائدة في مجتمعه، مما يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين والإحساس بعدم الانتماء واللامبالاة بطريقة يشعر فيها الفرد بأنه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه[3].

وغالبا ما يستخدم مصطلح العزلةعند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف، الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع.

ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعا من الانفصال عن المجتمع وثقافته[1].

---

[1]: السابق، ص37 ص38.

[2]:محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني ص24

[3]: جديدي زليخة: "الاغتراب" مجلة العلوم (2) الإنسانية و الاجتماعية العدد الثامن جوان 2012ص353 .

5- اللاهدف: meaninglessness

وترتبط الأهداف ارتباطا وثيقا بالمعنى، ويقصد به شعور المرء بأن حياته تمضي دون وجود هدف او غاية واضحة، ومن ثم يفقد الهدف من وجود ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة.

6- التمرد:Rebellion

ويقصد به شعور المرء بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير. وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات، أو على موضوعات و قضايا أخرى[2].

7- التشيّء:Réfection

مفهوم التشيّء مفهوم فلسفي، استخدمه ماركس وسارتر في مواضيع عديدة. استخدم ماركس مفهوم التشيّء ليشير الى وضع العامل في المجتمع الرأسمالي، ذلك العامل الذي يعيش بوصفه سلعة تباع وتشترى أو يعيش حياته، كما لو كان شيئا جامدا، وعلى نحو غير إنساني.

وكذلك نجد سارتر يستخدم مفهوم التشيّء بوصفه استلابا لعالم الذات والحرية وبوصفه استسلام ما هو لذاته أي الإنسان، وخضوعه للأساليب المبتذلة للحياة اليومية.

التشيّء كمظهر من مظاهر الاغتراب، يعني أن الفرد يعامل كما لو كان شيئا، وانه قد تحول إلى موضوع، و فقد هويته، أي فقد شخصيته التي هي مركز إنسانيته ولبها[3].

---

[1]: عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب ص 39.

[2]: نفسه ص42.

[3]: محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني ص23.

8- غربة الذات:SelfEstrangements :

هي حالة يدركها الفرد عن ذاته كمغترب، أي أنه أضحى نافرا أو مغتربا عن ذاته، وأصبحت الذات أداة مغتربة لا تعرف ماذا تريد وهي عدم القدرة على تواصل الفرد مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب أن يكون عليه، وبين إحساسه بنفسه في الواقع[1].

تأسيسا على ما تقدم، نلاحظ أنّ كل أبعاد الاغتراب تكاد تكون مترابطة ومتداخلة ويكمل بعضها البعض الآخر، ولكل بعد منها أهميته وتأثيره في تحديد طبيعة اغتراب الفرد ودرجة وحدة هذا الاغتراب.

إن ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية لاترتبط بمكان وزمان فحيثما يوجد الإنسان قد يكون هناك اغتراب بمختلف صوره وأشكاله، ولكوننا ندرك صعوبة التعامل مع هذا المصطلح، فانه يتعين علينا تحديد أنواعه وصوره، حسب الاستنتاجات التي أطلعت عليها، حيث أن هناك عدة أنواع نذكرها كالآتي:

1- الاغتراب الثقافي:

يشار به ابتعاد الفرد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه وثقافة المجتمع تتألف من العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع، ومخالفة المعايير التي تضبط سلوك أفراده حيث تجد الفرد يرفض هذه العناصر وينفر منها ولا يلتزم بها، بل يفضل كل ما هو غريب وأجنبي عنها[2].

2- الاغتراب القانوني:

يقصد به ذلك الفعل الذي تتحول بمقتضاه ملكية أي شيء إلى شخص آخر، تحويلا يتم عن طواعية واختيار، ومعنى ذلك أن الشيء يصبح خلال عملية النقل أو التحويل

[1]:جديدي زليخة: الاغتراب-مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص353.

[2]:نفسه، ص349.

أو الاغتراب يصبح ملكا للشخص الآخر، وغريبا عن مالكه الأول ويدخل ضمن نطاق ملك المالك الجديد.

3- الاغتراب السياسي:

ويعني شعور الفرد بأنه ليس جزءا من العملية السياسية وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا، وقد يمتد المفهوم ليشمل كل أنواع الاتجاهات السلبية نحو المجتمع عموما والنظام خصوصا[1].

4- الاغتراب الذاتي:

ويعني ذلك الإنسان الذي لا يمتلك ذاته وتعود بدايته في أواخر القرن السادس عشر، إذ حدث تحول عنالخضوع للروابط القائمة بين الناس، نحو الاحترام المتزايد للفرد الذي يحويه عالمه الداخلي، معزولا عن الآخرين، ولم يعد الناس يحكمون على الفرد بمدى تحقيقه لمكانه المقرر في المجتمع وأخذوا ويحكمون عليه عوضا عن ذلك، كوحدة مستقلة محتوية ذاتها. وتبدأ فكرة الاغتراب عن الذات بعدم الانتماء إلى المجتمع فالفرد يغرب نفسه عن طبيعته الجوهرية، ويصل إلى أقصى قمم التطرف في التنافر مع ذاته.

فالانتماء يمكن الوصول إليه على مستوى العلاقات بين الأشخاص فقط من خلال الوحدة مع البنية الاجتماعية وبالتالي فان الفرد بتوقفه عن أن يكون في وحدة مع تلك البنية الاجتماعية يفقد انتماءه، وحينما يحدث ذلك فإن الفرد لايعود ممتلكا لناصية جوهره وهكذا فانه يغرب ذاته عن طبيعته الجوهرية أو يصبح مغتربا عن ذاته، كما يرى "هيجل" من خلال علاقة الفرد ومجتمعه، ولكن "شاخت" يرى الاغتراب الذاتي من وجهة نظر أخرى تختلف عن نظرة هيجل، إذ يتناول الموضوع من وجهة نظر دينية

[1]: بشرى علي: مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية. مجلة جامعة دمشق المجلة 24 العدد الأول ص523 -.524

بحتة، حيث يرد الاغتراب الذاتي إلى خضوع البشر لضعف إيمانهم، مما يجعلهم يخفون حديثهم عن أنفسهم وينظرون إلى ذواتهم كأشياء[1].

5- الاغتراب الاجتماعي:

ويتمثل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين والبرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي وهو اغتراب عن المجتمع ومعايرة معاييره، والشعور بالعزلة الهامشية الاجتماعية والمعرّضة والرفض، والعجز عن ممارسة السلوك العادي[2].

6- الاغتراب الاقتصادي:

أما عن حديثنا عن الاغتراب الاقتصادي، فلا بد لنا من التوقف عند المنظر الأول "كارل ماركس" الذي يعد المنظر الأكثر شمولية في الحديث حول الاغتراب الاقتصادي، ينظر ماركس للاغتراب باعتباره العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته التي تحولت وصارت تبدو متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي، فعند الأخذ بتقسيم العمل كما يقول ماركس يغدولكل امرئ مجال محدد ومغلق لتقسيم العمل مفروض عليه ولا منجاة له منهن فيصبح صائدا للحيوانات أو للأسماك أو راعيا.

ويتعين أن يظل كذلك إذا لم يشأ أن يفقد وسائل كسب معيشته ويذكر ماركس الإنسان المغترب عن ذاته عند تناوله "للعمل المغترب"، فمن خلال الانغماس في الإنتاج فحسب، يصبح وجود الذات متحققا بصورة واقعية.

أما "اميل دوركايم" الذي يختلف وماركس اختلافا طرديا، فان كان ماركس يرى أن تقسيم العمل سبب للاغتراب، فان "دور كايم" يرى أن تقسيم العمل ضروري لتحقيق الانسجام والتماسك داخل القيم الاجتماعية[3].

---

[1]:يحي عبد الله: الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية.دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان، ط، 1 ، سنة2005، ص5.

[2]:جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ص349.

[3]:يحي عبد الله: الاغتراب" دراسة تحليلية لشخصيات طاهر بن جلول"، ص6.

7- الاغتراب الديني:

بتعريفه اللغوي، فقد وردت في مختار الصحاح عدة معانلكلمة "الدين" ومنها: العادة، الإذلال والجزاء والمكافأة، والطاعة وقد كتب "ماركس وانجلز" أن الناس في الماضي كانوا يصنعون لأنفسهم مفاهيم زائفة عن حقيقتهم وما ينبغي أن يكونوا، وكانوا ينظمون علاقاتهم طبقا لفكرتهم عن الله وعن الإنسان السوي ... الخ. ولكن هذه المفاهيم والأشباح التي صنعتها أدمغتهمخرجت عن سيطرتهم، وخضعوا وهم الخالقون أمام مخلوقاتهم، كما يوافقهم "شاخت" الذي يرى أن الإيمان بالعالم الآخر هو عادة علامة على الاغتراب عن هذا العالم وعن المجتمع الإنساني وعن ذات الإنسان، كرد على فلسفة "تشيليش"، التي ترى أن الوحدة الجوهرية تتضمن وحدة الله والإنسان[1] .

8- الاغتراب النفسي:

إن مفهوم الاغتراب في المجال النفسي يشير إلى درجات من الاضطراب في الشخصية، وفي علاقاتها بالموضوع، بحيث يحيا المغترب حياة عادية وان كانت مشوبة بالكدر والمشقة.

وفي درجة أشد يعدّ الاغتراب النفسي غربة الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع، وفي مجال الطب النفسي وعلم النفس اتسع مفهوم الاغتراب ليشير إلى:

- فقدان أو افتقاد علاقة ولا سيما عندما تكون العلاقة متوقعة.
- حالة يظهر فيها الأشخاص وتظهر فيهما المواقف للفرد كموضوعات غريبة عليه.
- حالة يشعر فيها الفرد بأن ذاته غير حقيقية.
- فقدان الوعي بالعمليات النفسية الداخلية.[2]

[1]: بشرى علي: مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية ص525.

[2]: السابق ص526.

9- الاغتراب التربوي:

ويعني عدم قدرة المؤسسة التعليمية "طالب، أستاذ، إدارة" على التكيف مع معطيات التكامل المعرفي التي توفرها تكنولوجية الاتصال التعليمي المتطور فيديو، كمبيوتر، انترنت، حيث يعد التعليم بوصفه الحالي حارما أبناءه من الثقافة العليا، في حين تكمن المهمة الأساسية للتعليم في رفع مستوى القدرة على استخدام التكنولوجيا المتوافرة فيه وتوظيفها لصلح المجتمع[1].

10- الاغتراب المعلوماتي:

يتخذ الاغتراب المعلوماتي ثلاث صور أو أوجه هي:

- حالة من عدم التكيف مع الثورة المعلوماتية نتيجة عدم إتقان وسائل تكنولوجية المعلومات مما يؤدي الى الشعور بالتخلف.
- الاستغراق الكامل للإنسانوذوبانه في بوتقة السرعة المعلوماتية بعيدا عن مظاهر الحياة الإنسانية الطبيعية، ويتضح هذا عند شباب هذا العصر وعلمائه.
- عدم قدرة الإنسان على متابعة او ملاحقة متغيرات التي تحدث في أي ميدان من ميادين المعرفة.

11- الاغتراب الإبداعي:

ويعني لحظة التفاعل العميق "الإلهام" والتي تأتي للعالم أو المفكر أو الفنان، وتكون سببا في إبداعه عملا مميزا جعله يتساءل: هل أنا صنعت هذا؟ وكيف صنعته؟ وهو الاغتراب من النوع الايجابي لأنه أمر لابد منه للمبدع حتى يحقق ذاته[2].

وعليه أنواع الاغتراب هذه لا يمكن فصلها عن بعضها البعض بصورة مستقلة، نظرا لأنها تشكل وحدة من المشاعر التي يعايشها الإنسان وتؤثر يبعضها البعض، فالاغتراب السياسي مثلا يؤدي إلى تشوه في نمو الشخصية، كما قد يؤدي إلى انفصام عدة العلاقات الاجتماعية، وهكذا يتبين لنا أن الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة مقبولة حينا، مرضية

[1]: نفسه، ص 524.

[2]: نفسه، ص 524.

معوقة في أحيان أخرى، وهي شائعة في كثير من المجتمعات بغض النظر عن النظم الإيدلوجيات والمستوى الاقتصادي والتقدم المادي والتكنولوجي. وهذه الظاهرة هي مشكلة إنسانية عامة، وأزمة معاناة للإنسان المعاصر وان اختلفت أسبابها ومظاهرها من مجتمع لآخر.

مظاهر الشخصية المغتربة:

إن الفرد إذا ما انفصل عن ذاته لحساب الواقع الخارجي استكانة وخضوعا يصبح فقيرا من كل ثراء داخلي، لأنه تحول إلى مجرد شيء وحينما تزداد حدة ما يشعر به من اغتراب وانفصال عن نفسه فإذا حياته النفسية تضطرب ومعاييره تهتز وتظهر عليه مجموعة من المظاهر المصاحبة للاغتراب.

وهناك ثلاث أنماط أو خصائص للشخصية المغتربة تقابل مراحل عملية الاغتراب، هناك مرحلة الانسحاب من المجتمع يلاحظ على الفرد الارتداد والنكوص إلى الماضي والتبلد والجمود الاجتماعي، وهناك أيضا مرحلة الاغتراب الرفضي يكون هناك تجاهل للقوانين، ورفض المعايير الثقافية، ورفض أصول التفاعل مع الآخرين، أما الخصائص المميزة لمرحلة الاغتراب الانفعالي وهي المرحلة الأخيرة، نهي التمركز حول الذات والانغلاق في دائرة خبراته ومصالحه الشخصية[1].

علاقة الاغتراب بالذات المبدعة:

يجب علينا الإشارةإلى قضية تمسُّ الاغتراب وهي: هل للاغتراب علاقة بالذات المبدعة؟.

هذا السؤال الذي أثار الجدل بين الباحثين وأهل الاختصاص، فانقسموا إلى طائفتين، فمنهم من يرى أن الاغتراب هو الدافع إلى نبوغ بعض الشعراء فيعبروا عما يجول في أنفسهم بكل صدق وانفعال، ومنهم من يرى أن الاغتراب يقف حاجزا قويا

[1]:السابق: بشرى علي : مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية : مجلة جامعة دمشق المجلد 24 العد الأول 2008.ص523.

مانعا للإبداع، وسنعرض أقوالهم، وسنحاول الاستنارة بانعكاس معطيات هذا التأثير (الاغتراب) في الذات المبدعة. مستشهدين بنماذج شعرية من العصر الجاهلي والعباسي.

وقد استشهدنا لنماذج شعرية من العصرين السابقين باعتبار الأول رمز الأصالة والجودة، والثاني كان فترة انتعاش الشعر وتجديده.

بداية سنعرض آراء العلماء والباحثين وذوي الاختصاص في هذا الموضوع، وهذه الدراسات جمعها الدكتور عبد اللطيف محمد خليفة في كتابه (دراسات في سيكولوجية الاغتراب).

أولا: الرأي القائل بأن الاغتراب حائل مانع للإبداع "فهذا (أندرسون) يرى بأن الاغتراب حجر عثرة أمام إبداع الفرد ومعرفته لذاته فالشخص المغترب لا ينقطع فقط عن الآخرين ولكن –أيضا- عن ذاته وفقدانه لهويته الذاتية والاجتماعية وهي مقومات أساسية تقوم عليها إبداعية الفرد وخياله[1].وتشكل السياق النفسي الذي يتحرك الفرد في إطاره، وتساعده على الانجاز والتقدم.

وهذا (ويت) يقول: " إن الأفراد تحكمهم قواعد وضوابط لا ينبغي تجاوزها، وهذه القواعد والضوابط تجعل الفرد يشعر بالاغتراب وهذا الشعور يقلل من إبداعه"[2]

"أما (ستيرن) فانه يرى أن الحرية هي المحرك الأول لإبداع الشاعر فالقوانين والأنظمة تحول دون إبداعه، وتخلق لديه نوعا من العزلة وان رأي (ستيرن) مطابق وموافق لرأي (ويت)، فكلاهما يتحدثان عن القوانين التي يعتبرانها المثبت الأول للعملية الإبداعية " وأشار (سارنوف وكول) إلى تأثير التقدم الصناعي والتكنولوجي على جوانب العقلية والنفسية للفرد حيث غالبا ما يصنع الأفراد منتجات هذا التقدم ووسائله كجزء من ذواتهم ومشكلاتهم الحياتية ولذلك فان تنمية الإبداع يجب أن تأخذ في الحسبان كلا من النمو الشخصي والروحي والتكامل بينهما".

[1]: الاغتراب في القصيدة الجاهلية (دراسة نصية) تأليف محمود سليم هياجنة – دار الكتاب الثقافي الأردن ص:31.

[2]: نفسه: ص32.

"أما (كوان) فيرى أن الطلاب المتفوقين والمهوبين هم الطلاب الذين لم يغتربوا ولم يتركوا مواطنهم، على العكس من ذلك فان الطلاب المغتربين أقل موهبة"[1].

ويتفق رأي محمد إبراهيم عيد مع ما توصل إليه (كوان) فيقول "إن الأفراد ذوي المستويات المنخفضة من القدرة على إنتاج الابتكاري هم أشد المجموعات إحساس بالاغتراب، وتبين أن الابتكارية ترتبط بقدرة الفرد على قهر مشاعر الاغتراب وعودته إلى نفسه وواقعه حيث يرفض المبتكر الواقع أحيانا، ويتمرد عليه باسم الواقع الجديد الذي يسعى إلى بلوغه، وهذا ما كشف عنه محي الدين حسين من وقوف الإصلاح كقيمة أساسية في المبدعين من منطلق إحساسهم بوطأة المشكلات التي ينخر بها العالم، وضرورة أن يتحمل كل فرد مسؤولياته في خلق صورة أفضل لهذا العالم".

أما أصحاب الفكر الآخر، وهم الذين يرون أن الاغتراب هو المحفز نحو الإبداع والابتكار " فهاهو (ولبرج) الذي يرى أن العملية الإبداعية مرتبطة بالاغتراب، إلا أننا لاينبغي أن نجعل الاغتراب عنصرا أساسا للعملية الإبداعية ويؤيد هذا القول ما توصل إليه (بورناهم) الذي شعر في فترة من الفترات بالألم والضيق، وبالتالي شعر بالاغتراب النفسي فاستطاع الاستفادة من هذه الحالة، فاتجه إلى الكتابة، فانعكست هذه التجربة على إنتاجه الأدبي".

" ودرس (موهان) و(توانا) العلاقة بين سمات الشخصية والاغتراب لدى عينة مكونة من (100) كاتب هندي تتراوح أعمارهم مابين سن 23-82 سنة من كتاب الرواية والقصة القصيرة، وتوصلا إلى أن هؤلاء المبدعين قد حصلوا على درجات عالية في الاغتراب مقارنة بالجمهور العام، وأن العديد من المبدعين يظهرون العديد من سمات الشخصية المغتربة"[2].

ويحدد (مصطفى يوسف) العملية الإبداعية في شعور مبدع بالاحتلال بين الـ(أنا) والآخرين، إذ يفقد الفرد إحساسه بالتوافق والتكامل مع الـ(نحن)، مما يدفعه إلى حالة من

[1]: نفسه: ص32.

[2]: السابق: ص: 32-33.

التوتر العام، يحاول التغلب عليها من خلال استعادة الـ(نحن) المفقودة وذلك من خلال جذب الآخرين الى عالمه، لا لأن ينتظم في عالمهم ولكن كمحاولة هادفة يتحقق من خلالها التكامل بين المبدع والآخرين في إطار جديد، وافتراض (سويف) أن الصراع تتعرض له الشخصية بين أهدافها الخاصة، والهدف المشترك للجماعة يمكن أن يكون منشأ العبقرية"[1]."وذهب أحمد النكلاوي إلى أن الاغتراب لازم الإنسان منذ القدم"[2].

ونرى أن القول الثاني هو الأرجح والأصح وسنحاول معالجة هذه القضية بذكر بعض الشواهد الشعرية لشعراء فحول اغتربوا وعانوا من الغربة فالإنسان منذ قديم الزمان ينتقل من مكان لآخر باحثا عن موارد الحياة، ولهذا نجد أن الشاعر قد وصف اغترابه في قصيدته، وهذا ما نجده في المقدمات الطلبية ففي أثناء انتقاله المستمر لابد له أن يقف على ديار الأحبة فيتذكر تلك الرسوم والديار فيقف باكيا عليها.

فالشعراء في العصر الجاهلي الذين عاشوا حياة الغربة والاغتراب صوروا ذلك في أشعارهم، من بينهم امرئ القيس، وعنترة بن شداد وعروة بن الورد، والشنفري، والنابغة الذبياني، وغيرهم من الشعراء الجاهليين الذين ظهروا في تلك الفترة.

وحينما نشير إلى هذا القول لانريد أن نجعل الاغتراب الوسيلة الوحيدة لنبوغ الشاعر، ولكننا نقول أن الشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يستفيد من تجارب اغترابه، فيكون هذا الاغتراب بمثابة الجمرة التي تزيد شعره قوة وسنقف قليلا عند قصيدة لعنترة يقول فيها:

طَالَ الثَواء عَلَى رُسُومِ المَنزِلِ بيَنَ اللّكيكِ وَبيَنَ ذَاتَ الحَرمَـــل
فَوَقَعت فِي عَرَصَاتِها مُتَـحَيِّرًا أَسَل الدِّيَار كَفِعلِ مَن لَم يَـذهَـــل
لَعِبت بِهَا الأَنْوَاءِ بَعْدَ أَنيـنِـهَـــا وَالرَمساة وَكُـل جُونٍ مُـسَبَّـــــلِ
أَفَمِن بكَاء حَمَامَة فِي أَيـكَـــــةٍ ذَرَفت دُمُوعَك فَوقَ ظَهرِ المَحمَل[3].

[1]: نفسه ص: 34.

[2]: نفسه: ص34.

[3]: ديوان عنترة بن شداد: تحرير: د محمد عنابي، ص158.

فهذه الغربة التي يعيشها الشاعر، وهذا الحنين الذي يصف به عنترة الديار والمنازل ويحدد مواقعها، ويقول أنه وقف وقفة المتجرد في معرفتها الغريب عنها، فيسأل عنها وعن مكانها، ثم ما يلبث دموعه بالانهمار والسيلان، إنها ثورة الإحساس بالاغتراب.وهذه الدموع التي انفجرت منه أثارتها بكاء حمامة من أيكة.

فعنترة الفارس البطل الذي قاد معارك عدة تندفع دموعه وتنفجر فيه العاطفة، إنها عاطفة الحنين التي أثارها الاغتراب فذلك المكان الذي عهده وعرفه عاد إليه الآن وكأنه غريب عنه.

فهل وقف الاغتراب حاجزا مانعا في إبداع هذا الشاعر الفحل؟

وامرؤ القيس يترك أبياتا كثيرة تعالج قضية اغترابية إذ علمنا أنه ترك قومه الذين غصبوه ملك أبيه، ولكن الشاعر حين ابتعد عنهم شعر بالاغتراب والحنين إلى دياره، فيتمنى أن يموت بين أيديهم، ومما يتصل بموضوعنا قصيدته المشهورة الذائعة الصيت (ألا أبلغ بني حجر بن عمرو) تلك القصيدة التي ينبثق منها صدق الشعور والعاطفة، التي تصور نزوح الشاعر عن أهله ووطنه فيموت بعيدا عنهم يقول:

وَلَكِنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمَ بَعِيدَ مِن دِيَارِكُم بَعِيدًا[1]

(بعيد عن دياركم بعيدا) نلاحظ في هذا البيت شدة الحسرة والندم، تلك الحسرة، وذلك الندم الذي ينبعث من أعماق قلب يكابد ألم الاغتراب والفراق، فهذا التكرار الذي وقع فيه الشاعر فكأنه يريد أن يلفت الانتباه إلى ما يملأ قلبه من ألم وعذاب، وأي ألم ذلك؟ انه ألم البعد عن الأهل والوطن وألم الاغتراب في لحظة الاحتضار، ولذلك قال:

بِأَرضِ الرُّومِ لاَ نَسَبُ قَرِيبٌ وَلَا شَافَ فَيسنَد أَو يَعُودَا

لا نسب ولا قريب ولا وطن، هذه هي نهاية حياة الشاعر نهاية هذه الحياة التي قضاها في غربة دائمة، وفي حنين دائم وفي شوق دائم ودموع غالبة، هذه الدموع التي تذرف من هذه الأبيات، فتصور حال الشاعر وهو يئن في لحظة بلا نسب ولا قريب.

[1]: ديوان امرؤ القيس .ضبط وتصحيح: مصطفى الشافي ص 213.

هكذا نرى قوة هذه الأبيات التي قالها امرؤ القيس في غربته واغترابه والتي تفيض بكل العواطف الإنسانية، وتعكس تجربة صادقة عاشها الشاعر، وتجرع كل ما فيها من معاناة فكان هذا الاغتراب بمثابة المادة الخام التي استطاع الشاعر أن يشكلها ويستخرج منها أشكالا ونماذج جديدة تصور آهاته.والسؤال يتكرر، فهل وقف الاغتراب حاجزا لنبوغ هذا الشاعر وأي شاعر؟ انه امرؤ القيس؟

والأمر يتكرر عند المتنبي الذي ألف حياة الاغتراب يقول:

أَمَّا الفِرَاق فَإِنَّـمَا أَعـــــهَدُ هُوَ تَــوأَمِي لَـو أَنّ بَينَـــــنَا يُولَدُ

مَن خَصَّ بِالذّم الفِراقِ فَإِنَنِي مَن لَا يَرَى فِي الدَّهرِ شَيئًا يُحمَدُ[1]

ويقول:

يَشْتَاقُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الأَهْلَ وِالجِيرَان وَالوَطَن[2]

فلأن المتنبي شاعر فحل فان الغربة لم تقف حاجزا مانعا لإبداعه وتفننه في شعره.

وهذا أبو التمام، الشاعر العباسي الشهير، على الرغم من اتصاله بالخلفاء والوزراء، فقد كان كثير الترحال والاغتراب، ففرقته الغربة وأبعدته عن أهله وإخوانه يقول:

مَا اليَومَ أول تَودِيـعِي وَلَا الـثّــانِي البَيتَ أكثَر مِن شَوقِي وَأحـزَانِي

دَع الفِرَاق فَإِن الـدَّهـرَ سَـــــاعَدَه فَصَارَ أَملِكُ من رُوحِي بِجُثماني

خَلِيفَة الخُضرِ مَن يَربعُ عَلَى وَطَنٍ فِي بَلدَةٍ فَظُهُورُ العَيْس أَوْطَــانِي

بِالشَّامِ أَهْلِي وَبَغْدَادِ أَهْوَى وَأَنَـــــا بِالرَّقْمَتَيْن وَبِالقِسْطَاطِ إِخْوَانِـــي

وَمَا أَظُنُ النَوَى تَرضَ بِمَا صَنَعَت حَتى تشافه بي أَقصَى خَرَاسَان[3]

ليس هذا أول توديع له، ولا الثاني، وإنما ارتحاله وبعده شيء عظيم شيء أكبر أثر من شوقه وحزنه، وهذا الحزن وهذا الفراق لم يكن يرتضيه لنفسه ولكن الظروف

[1]: ديوان المتنبي: ص20.

[2]:نفسه: ص468.

[3]:ديوان أبي التمام، تحقيق محي الدين الخياط ص232.

والدّهر كانوا أقوى منه، حتى عادت ظهور العيس وطنه الوحيد، هكذا كان شعر الاغتراب الذي يجسد فيه الشاعر غربته فيتقلب بين الحزن والألم، ذلك الألم الذي يتفجر من نفس جريحة تئن من هم الهجرة والتشرد وتتشوق إلى العودة والاستقرار.

ويمكن القول هنا بعد أن استشهدنا بأشعار بعض المبدعين الذين أبدعوا في قصائدهم على الرغم من اغترابهم أن الاغتراب لم يقف حاجزا مانعا للإبداع كما ذهب بعض الباحثين وإنما كان الاغتراب عندهم بمثابة الوقود الذي يثير الحركة الوجدانية، والقوة العاطفية فيهم، فيثير بذلك القوى الهاجعة في نفسية الشاعر، فيظهر لنا وجوهره المكنون في الصور من الإبداع الفني. كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود هياجنة[1].ولذلك نرى أن أكثر المبدعين عمقا وأصالة كالمتنبي وغيره هم الذين أوغلوا في الاغتراب، فكانت الغربة بالنسبة لهم كالبراكين العنيفة في حياتهم.

تلك الغربة التي تثير العواطف في الشاعر، فتتعمق تلك التجربة في ظل الصراع النفسي والإحساس بالاغتراب، ثم تتجلى تلك الصورة في نتاجه الشعري الذي يزداد قوة ووضاءة في ظل اغترابه، فيعترف الشاعر على مكامن القوة والضعف، فيلجأ إلى فرز تلك المعاني التي تزيد مع الاغتراب قوة ولهيبا وبريقا وأخيرا: فان الاغتراب بهذا المفهوم كان حافزا ودافعا لهؤلاء الشعراء المبدعين نحو الإبداع، فلم يكن الاغتراب في يوم من الأيام مانعا للإبداع. وإلا لما كان امرؤ القيس، ولا المتنبي، وغيرهم من الشعراء الذين لم نستعرض شواهد شعرهم، شعراء مبدعين استطاعوا أن يتركوا دواوين ضخمة تنخر بقصائد متنوعة صاغوها بأساليب مختلفة ومعاني مختلفة.

العوامل المسببة للاغتراب:

يرى بعض العلماء بأن الشعور بالاغتراب يكون نتيجة لعوامل نفسية مرتبطة بنمو الفرد وعوامل اجتماعية مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه، مما تجعله غير قادر على مجابهة مصاعب الحياة، والتغلب عليها، وكما يحدث نتيجة التفاعل بين العوامل الاجتماعية والنفسية.

[1]: محمد هيجانة ا،لاغتراب في القصيدة الجاهلية- دراسة نصية، ص 34.

فترجع الأسباب عند الفرد إلى الضغوط الداخلية حيث يواجه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال حتى يحقق الذاتية المثالية ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها.

وهناك عدة أسباب أخرى نذكر منها:

- طبيعة النمو ذاته فان بداية مرحلة المراهقة عبارة ما يطلق عليه أزمة المراهقة، مما ينعكس بالإحساس بالاغتراب.
- الظروف الحضارية التي يعيشها الفرد وتؤكد الدراسات النفسية أن أزمة المراهقة ليست أزمنة ثابتة في كل الحضارات ولهذا فان طبيعة النظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الفرد يؤثر على تنمية الإحساس بالاغتراب النفسي.
- احباطات الطفولة، وأساليب التنشئة الاجتماعية، وكذلك العوامل المعرفية والوجدانية والشخصية. ومن الأسباب النفسية نذكر الصّراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة وبين الحاجات كما في حالة الحرمان من الرعاية الوالدية التي يمكن إشباعها في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق والاضطراب.[1]
- الحرمان: حيث تقل الفرصة لتحقيق دوافع وإشباع الحاجات كما في حالة الحرمان من الرعاية الوالدية الاجتماعية.
- الإحباط: حيث تعاق الرغبات الأساسية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد ويرتبط الإحباط بالشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام والشعور بالقهر وتحقير الذات.
- الخبرات الصادمة: وهذه الخبرات تحرك العوامل الأخرى المسببة للاغتراب مثل الأزمات الاقتصادية والحروب.

وهناك اجتماعية وهي:

- ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلة هذه الضغوط.
- الثقافة المريضة التي تسود فيها عوامل الهدم والتعقيد.
- التطور الحضاري السريع، وعدم توافر القدرة على التوافق معه.

[1]: جديدي زليخة: الاغتراب ص 354-355.

- اضطراب التنشئة الاجتماعية، حيث تسود الاضطرابات في الأسرة والمدرسة والمجتمع.
- مشكلة الأقليات ونقص التفاعل الاجتماعي والاتجاهات السالبة والمعاناة من خطر التعصب، والتفرقة في المعاملة لسوء التوافق المهني حيث يسود اختيار العمل على أساس الصدفة، وعدم مناسبة العمل للقدرات، وانخفاض الأجور.
- سوء الأحوال الاقتصادية وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة.
- تدهور نظام القيم وتصارع القيم بين الأجيال.
- الضلال والبعد عن الدين والضعف الأخلاقي وتفشي الرذيلة.

وهكذا يرجع ظهور الاغتراب لدى الفرد نتيجة لسبب معين، إما نفسي أو اجتماعي أو كليهما معا، وعند ظهوره لابد من محاولة إبعاد المغترب عن اغترابه وإعادته للحياة الطبيعية حتى يكون فردا منتجا.

مواجهة الاغتراب:

وعليه فإن مواجهة الاغتراب يتم عن طريق تحقيق الانتماء ومن أهم اجراءات التي يمكن أن نتخذها من أجل ذلك مايلي:

- التصدي للأسباب النفسية والاجتماعية للاغتراب، ومحاولة الكشف عنها مبكرا وعلاجها.
- التغلب على مشاعر الاغتراب أو قهرها والرجوع الى الذات والتواصل مع الواقع.
- تدعيم مظهر الانتماء الاجتماعي وتأكيد الهوية الاجتماعية والتوازن مع الهوية الشخصية.
- تصحيح الأوضاع الاجتماعية بما يضمن التفاعل والتواصل.
- تنمية الايجابية، ومواكبة التغيير الاجتماعي والاعتزاز بالشخصية.
- تنمية السلوك الديني وممارسة الشعائر الدينية وتطبيق المعايير الدينية في كل جوانب الحياة اليومية.
- تصحيح الأوضاع الثقافية بما يحقق احترام العادات والتقاليد.

- الابتعاد عن التسلط والقسوة وكل مظاهر التربية الغير متوازنة من طرف الآباء واعتماد أسلوب التفهم والتقبل والحوار ومساعدة الأبناء في قضاء حاجاتهم لأجل إعطائهم القدرة على تحمل المسؤولية وبث رح الثقة بالنفس فيهم.
- التركيز في التعليم في جميع مراحله على جوانب الانتماء والابتعاد عن التغريب الثقافي[1].
- الاهتمام بالجانب الروحي للإنسان من خلال التعليم الصحيح لمبادئ التربية الدينية، ففي تشريعنا الإسلامي وردت الكثير من الأساليب تساعد على مواجهة الاغتراب، إذ شرعت الصحبة الصالحة والرفقة الطيبة في المعاملات، وشرع الزواج بأحكامه وقوانينه وحثت على عدم الارتباط الزواجي إلا بمن كان طيبا، كما سنت العبادات الجماعية كالحج، الفردية التي يؤديها الجميع سواء كانوا معا أو متفرقين كالصلاة والصوم، كل ذلك حتى لا ينفرد الإنسان بنفسه ولا يحس بالغربة والوحدة، وهذه نقطة تتشارك فيها مجمل الأديان السماوية، كما أكدت الشريعة الإسلامية على إفشاء السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض وعزاء أهل الميت ومواساة المكروب، والتصدق على المحتاج،... وغيرها من المعاملات التي من شأنها أن تشعر الإنسان بالألفة الاجتماعية.

[1]: السابق ص 356.

شاهد العصر الحديث ظاهرة الاستعمار الغربي في الأقطار العربية فكانت سبب في نفي الكثير من الشعراء والكتاب من مواطنهم منهم البارودي، الذي ذاق طعم الاغتراب وعبر عن معاناته في أجمل صور شعرية. والاغتراب والنفي من الأغراض المتميزة في الشعر العربي الحديث وإن لم ينظروا إليها النقاد كنوع مستقل في العصور المختلفة بينما الكثير من الشعراء نفوا من بلادهم فأنشدوا أشعارا تعبر عن حنينهم وشوقهم إلى أوطانهم متطرقين إلى المسائل الاجتماعية والسياسية وإلى ما ذلك، فأبدعوا أدبا يمكن اعتباره نوعا مستقلا له.

عاش محمد سامي البارودي حياة مضطربة، وكان مطلعا على الأدب القديم حيث أصبح رائدا للشعر الحديث، وامتزجت روح الفروسية والأدب في نفسه، فصار رب السيف والقلم، وكان مطبوعا على إنشاء شعر يجري على لسانه دون تكلف ولكنه كان يرى أن الطبع وحده لا يكفي للإنشاء ولا يفي، بل الشعر تهذيب وصقل فقال في ذلك:

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى المَنهَلِ المَطْرُوقِ وَالمَنهَجِ الوَعِيدِ
إِذَا جَاشَ طَبعِي فَاضَ بِالدُّرِ مَنطِقِي وَلاَ عَجَبَ فَالدُّرُ يَنْشَأُ فِي البَحرِ[1].

الشعر عند البارودي ديوان الأخلاق وتعبير عن توجهاته الفكرية وأهدافه وهذا ما نراه في قصائده، اذ لا يلوثها بما يبعد عن ساحة الأخلاق الإنسانية فيقول:

وَالشِّعرُ دِيوَانُ أَخْلاَقٍ يَلُوحُ بِهِ مَا خَطَّهُ الفِكْرُ مِنْ بحَثٍ وَتَغَيَّر[2].

موضوعات البارودي في المنفى:

مما لاشك فيه أن الشاعر في عزلته الطويلة التي قضاها في المنفى مر بظروف تختلف عما قضاها في وطنه، ففي تلك الحقبة سيطرت عليه فكرة الوطن، وظل يتذكر أسرته وأصدقائه وأيامه السعيدة التي قضاها معهم، وانعكست كل هذه الحالات في أشعاره، ولها أثر بالغ على المتلقي، وبما أن التجربة الشعرية عند البارودي كانت وليدة المعاناة الذاتية والمعاشية الوجدانية للملمات، كان تعبيره عنها أقرب إلى الصدق حيث

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص:116.

[2]:نفسه: ص146.

جعلت شعره العاطفي من أصدق الأشعار في عصرنا الراهن[1]، ومن بين هذه الموضوعات التي تطرّق إليها شاعرنا نذكر:

1- الحنين إلى الوطن:

هو ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان في بعده عن وطنه وديارِه التي غادرها، فالارتحال عن الوطن يولد اغترابا مكانيا لاتنفتح معه إلا أبواب الوحشة ولا يصبح العالم بالنسبة له إلا ثقب صغير وضيق، فلاغتراب عند البارودي بكل أنماطه جسد صفاته وحياته وسلوكه ومعاناته وحالات الألم والأرق أحس بغربة عميقة فامتلأ شوقا إلى مصر وأهله وزاد حنينه للعودة إليها.

إذا أمعنا النظر في الأشعار الاغترابية نرى أن الشاعر يقلّ صبره في نفيه وتتغير أحواله، وانعكست في قصائده، ماساوره في الشيخوخة من حسرة وضعف وتوجع وشوق إلى وطنه، فكثير عن أشعاره الوطنية التي تعود إلى تلك الفترة الزمنية نلمس فيها لوعة الفراق فلهذا كانت أشعاره الوطنية التي تتضمن الحنين من أجود ما نظم في حياته الشعرية، وصار هذا الموضوع فنا بارزا ومستقلا على يد البارودي، وينقسم هذا الفن عنده إلى قسمين: قسم يرجع إلى شيخوخته تغلبت فيه روح العاطفة الوطنية وبالرغم من محاولاته لإخفاء حنينه لم يستطع ذلك، إذ الشاعر يستخدم بعض الألفاظ الفخمة والمعاني الكاملة لروح الاعتزاز، لكننا عندما نصفح ديوانه نلمس عمق الحنين في أشعاره[2] مما جاء في قوله:

لَبَيكَ يَا دَاعِيَ الأَشوَاقِ مِن دَاعِي أَسمَعتَ قَلبِي وَإِن أَخطَأَت أَسْمَاعِي
يَا حَبَذَا جُرعَةً مِن مَاءٍ مَحنِيَـةً وَضَجعَةً فَوقَ بَردِ الرَّملِ بِالقَـــاعِ
وَنَسمَه كَشَمِيمِ الخُلْدِ قَد حَلَمــَت رُيَّـا الأَهيَر مِن مَيّثٍ وَأَجـــــرَاعِ[3]

---

[1]:نفسه: ص39.

2: ينظر صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود شامي البارودي مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها العدد21 سنة2011م، ص10.

[3]: محمود سامي البارودي: الديوان ص183.

أما القسم الآخر فهي أشعار أنشدها أثناء المنفى، تغلب عليها روح الحماسة وعزة النفس بحيث عندما نقرأ قصائده لا نشعر انه قرضها في المنفى، لأنه حاكى القدماء في هذا الموضوع، منهم المتنبي وأبو العلاء المعري، وقد كانت نفسه تتناغم مع نفوسهم وليس معنى ذلك أن البارودي بلغ من محاكاة الأقدمين ما يجعله صورة مطابقة لهم وإنما معناه أنه اضطرمت نفسه في روحهم اضطراما جعله يبعث العناصر القديمة في شعره رمزا يبلغ به كل ما يريد من تأثير في القلوب وكان يثور في عروقه دم المماليك، فقد تحدث عن أبائه وشجاعته[1] قائلا:

مَاأَنَا المَغلُوبُ دُونَ مَرَامِـــهِ وَلكِنَّهُ قَد يَخذُلُ المَرءَ جُهدُهُ

أَبَت لِي حَملُ الضَّيمِ نَفسُ أَبَيةٌ وَقَلبٌ إِذَا سِيمُ الأَذَى شَبَّ وَقدُهُ[2].

أما في قصيدته المعروفة (سرنديب)، فكانت مناسبتها هي اشتراك البارودي مع قائده عرابي باشا الذي ثار بالجيش ضد طبقة الضباط الأتراك ثم ضد الاستعمار الانجليزي الذي احتل مصر عام1882 فتم نفيه إلى سرنديب فقضى فيها سبعة عشر عاما حتى عفي عنه سنة 1900 فقضى في وطنه أربع سنوات وتوفي سنة 1904.

وفي هذا الباب يقول:

كَفَى بمَقَامِي فِي سَرَنْدِيبَ غُربَةً نَزَعتُ بِهَا عَنِي ثِيَابَ العَــلاَئِقِ

وَمَن رَامَ نَيلَ العِزِّ فَليَصطَبِر عَلَى لِقَاءِ المَنَايَا وَاقتِحَامِ المَضَـــــايِقِ

فَإِن تَكُن الأَيَامُ رَنَقّنَ مَشْـــرَبِي وَثَمِلْنَ حَدِّي بِالخُطُوبِ الطَوَارِقِ[3]

يصف لنا الشاعر في هذه الأبيات شعوره في المنفى ويفخر بأنه البطل الذي لاتنهزم روحه أبدا، مبينا شرف مشاركته في تلك الحركة الوطنية التي ابتغى بها رضا الله ونصرة الحق، مستعيدا ذكرياته في الوطن رافضا للظلم متطلّعا للمجد.

[1]:ينظر مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي ص:11 .

[2]:محمود سامي البارودي –الدوان-ص82.

[3]:السابق: ص201.

هو يصور لنا حاله في المنفى وما عاناه من الغربة، التي قطعت عنه علاقات حب وودّ أهله وأصدقائه وبالأخص وطنه ولكن زاده النفي والتشريد عزيمة وقوة، فارتفع صوت شجاعته وإبائهفدعى إلى الثبات عند الشدائد والتحمل بالصبر وما كان للمصيبة أن تقل عزيمته مهما اشتدت عليه المصائب.

نلخص مما سبق أن امتداد رحلة النفي الطويلة للشاعر يكشف لنا الحقيقة ألا وهي أن الوطن هو الكرامة والعزة والحرية لم يعد عبارة عن تراب ومنازل فقط. فهو متعطش لزيارة بلده وذكرياته الجميلة التي عاشها في مصر منطلقا في وهادها وهضبها، ومتقلبا بين وديانها وجبالها.

2- الحنين إلى الأهل والأصدقاء:

يظهر البارودي حزنه واضحا، فيتجلى الأمل والخيبة كعنصرين مختلفين وهذا من خصائص شعره العاطفي، وله عدة قصائد في هذا الباب منها:

طَورًا أُدَارِي لَوعَتِي بِالمُنَى وَتَارَةً يُغلِبنِي مَدمَعِي

فَهَل إِلَى الأَشوَاقِ مِن غَايَةٍ أَم هَل إِلَى الأَوطَانِ مِن مَرجَعِ

لاَ تَأسَ يَا قَلْبَ عَلَى مَا مَضَى لاَبُدَّ لِلمِحْنَة مِن مَقطَعِ[1].

وقد تمتزج أغراض مختلفة في قصيدة واحدة كالوصف والفخر والرثاء ولكن في بعض منها لا ينقاد الشاعر إلا لعاطفته وقلما يخرج عنها ليتناول أمورا أخرى، منها قصائد أنشدها بعد فقد زوجته وابنته "سميرة" وأصدقائه الحميمين منهم شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده وعبد الله فكري وحسين المرصفي وغير هؤلاء وعاطفته كانت قد بلغت ذروتها في هذه القصائد لما توالت عليه من مصائب فقد رقّقت نفس الشاعر إلى أبعد حد[2].

فوجئ البارودي بموت زوجته وهي في السابعة والثلاثين من عمرها، وقد ضاعف هذا الأمر آلام الغربة،حيث رثاها بقصائد حزينة. وبما أن رثاء الزوجات كان غير مألوف

[1]: محمود سامي البارودي –الدوان ص176.

[2]:ينظر مجيد صادقي مزيري: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي: ص11-126.

في البيئة العربية، فقصيدته هذه تعد من المراثي الرائعة ومن أجملها وأكثرها ألما، كقصيدته الدالية التي يقول في مطلعها:

أَيدِي المَنُونِ قَدَحَتْ أَيُّ زِنَادًا وَأَطّرَت أَيَّةَ شُعلَةٍ بِفُؤَادِي[1].

ثم سمع خبر موت ولده، ولحقه موت ابنته وهو لا يزال في المنفى. فهذه الحوادث المفجعة أثرت في نفسه تأثيرا بالغا حتى لم يعد البكاء يجديه شيئا فأصبح ينشد بتوجع:

فَزَعَت إِلَى الدُّمُوعِ فَلَن تُجبنِي وَفَقَدَ الدَّمــعُ عَن الحُزنِ دَاءً

وَمَا قَصَّرتُ فِي جَزَعٍ وَلَكِنَّ إِذَا غَلَبَ الأَسَى ذَهَبَ البُكَاءَ[2]

وتوالى موت الأهل والأقرباء قد نال من نفس الشاعر كثيرا حتى انه لم يستطع أن يعبّر عن مشاعره بقصائد لا تبلغ ثلاثين أو أربعين بيتا ولكنها مع ذلك تدل على عمق حزنه المبرح وآلامه الدفينة بألفاظ رقيقة سهلة وأوزان خفيفة وأساليب إنشائية لاسيما أسلوب الاستفهام، بوحدة موضوع كرابط بين الأبيات والألفاظ والمعاني التي تعبر عن هواجس نفس الشاعر وخلجات روحه.

بالنسبة إلى أصدقائه كان من أوائل من طرق سمعه نعيه أحمد فارس الشدياق الذي توفي في سنة 1887، ثم يسمع موت عبد الله فكري في سنة 1889، وكان رفيقه في وزارة الثورة ثم جاءه نعي الشيخ حسين المرصفي الذي طالما الذي أشاد به في كتابه "الوسيلة الأدبية"، فقد رثاهم كثيرا[3] وقال في قصيدة عن موتهم:

أَخَلَقَ الشّيبُ جَدَتِي وَكَسَانِي خَلعَةً مِنهُ رَثّـةَ الجِلبَابِ[4]

كُلَمَا رَمَت نَهضَــةً أَقعَدَتـنِي وَنيَّةٌ لاَ تَقُلــهَا أَعصَابِـي

فجَعَتنِي بِوَالِـــدَيَّ وَأَهـلِي ثّمَ انحَنَت تَكُرُّ فِي أَترَابِي[5].

---

[1]:محمود سامي البارودي: الديوان: ص 93.

[2]: السابق: ص41.

[3] : ينظر: مجيد صديقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود السامي البارودي: ص12.

[4]:محمود سامي البارودي الديوان ص:50.

[5]: نفسه : ص51.

فبإمكاننا أن نقول إن القصائد الرثائية في أهله وأصدقائه قصائد وجدانية تقترب من الرومانسية، لأن الشاعر قد التزم فيهما بعواطف صادقة تسوق قريحة الشاعر إلى معان خاضعة للعاطفة، وتكاد الشكوى والعاطفة والحنين وتكون المحور الأساسي لهذه القصائد.

3- التأمل:

امتزاج شخصية البارودي الحماسية والوطنية بأدب ربته الغربة ورفقته، أدّى إلى أن يفكر في نفسه ويتذكر أمجاد ماضية وأيام شبابه، والفرصة في الغربة كانت متاحة ليتأمل الشاعر تأملا صوفيا إلى الزهد والحكمة وتركت هذه الأمور فيه نوعا من الرؤية الفلسفية للحياة، منبعثة من جوّه الديني الذي عاشه في الغربة إذ ارتبطت الفلسفة والدين في صميم فؤاده ارتباطا وثيقا فنراه يفتخر بدينه[1] قائلا:

دِينِي الحَنِيف وَرَبِي الله وَشَهَادَتِي إن لَيسَ إلاَ هُوَ[2].

كما نجده يأتي بألفاظ القرآن الكريم ومعناها خلال المضامين الشعرية منها[3]:

يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُم وَاخْشُوا عَذَابَ الله وَالآخِرَة

وفي هذا البيت إشارة إلى الآية الأولى من سورة الحج المباركة " يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَة شَيءٌ عَظِيم"

كانت فلسفة البارودي فلسفة دينية تحتوي على الزهد والحكمة والقضاء والقدر وتغلبات الدهر وذكر الأيام الماضية والعبرة منها، وهناك فرق بين تأمله في الدهر والأيام الغابرة وبين مواضيعه الأخرى التأملية، إذ إن الشاعر متشائم فتغلبت هذه الحالة على شعره لأن الدهر هو من أصابه بالمآسي والهموم.

وَكَيفَ لِعَيشِ الدَّهرِ خَلُوا مِنَ الأَسَى سَقِيم يُغَادِي بِالهُمُومِ وَيَطـــــرُقُ

وَمَا الدَّهرُ إلاَ مُستَنَـــــــعِد لِوَثـبِهِ نُحَذِرُكَ مِنْهُ فَهُوَ غَضبَان مُطرَقٍ[4]

---

[1]:ينظر مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي: ص 13.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان: 293.

[3]: ينظر: مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي ص:13.

[4]: نفسه: ص203.

وتخاطب الدّهر خطاب خيبة ويتمنى أن يعود إليه الشباب:

أَعِد يادْهُرِ أَيَامَ الشَّبَابِ وَأَينَ مِن الصِّبَا دَرَكَ الطُلاَّب[1]

ومما أدى إلى تشاؤم شاعرنا هذا هو اليأس فالبارودي كلما تحدث عن الدهر والماضي تطاير، حيث خاب من الرجوع الى الوطن وقد ساوره ضعف الجسد والكبر:

تَوَلَى الصِّبَا عَنِي كَيفَ أعيدُهُ وَقَد سَارَ فِي وَادِي الفِنَاء بُريدُهُ

أَحَاوِلُ مَن رَجَعَه بَعدَ مَا مَضَى وَذَلِكَ رَأى غَاب عني سَدِيدُهُ

فَلَا عَزوَ أَن شَابَت مِنَ الحُزْنِ لمتي فَإِنِّي فِي دَهرٍ يَشِيبُ وَلِيدُهُ[2].

إضافة إلى ذلك جعلته فلسفة الدينية يخضع أمام القضاء والقدر وينصرف الى الحكمة والزهد المقتبسة من غربته ومن تجاربه التي حصل عليها في منفاه يقول:

فَإِنِّي امرُؤُ جَرَبتُ دَهرِي وَزَادَني بِه خِبرَةً صَبرِي عَلَى الحُلوِ وَالمُر[3]

وتارة يترك الفلسفة الدنيوية ويدعو الإنسان إلى الخضوع أمام الله:

فَدَع القَولَمِنَ التَفَلسُفِ وَاخْضَع لجِلَال المُهَيمن الدَيَّان[4].

وفي حكمه الشعرية الممزوجة بالزهد يستغيث بالله ويذكر حياة الآخرة والموت وزوال الدنيا ويلتجئ إلى الاتعاظ والعبرة بالماضي فيقول في الموت:

كُل حَي سَيمُوت لَيسَ فِي الدُنيَا ثُبوتُ

حَرَكَات سَوفَ تَفنَى ثُمَّ يَتلُوهَا خُفوتُ[5]

ومما يلفت نظر القارئ في الشعر البارودي هو عدد القصائد والأبيات التي قالها في الحكمة والزهد فبعضها تمتزج بموضوعات مختلفة وهذا كثيرا ما يحدث في ديوانه وقصائده الطوال، وبعضها تلخص للزهد والحكمة، وهي تشمل قصائد قليلة وقصيرة، لا يبلغ عددها أكثر من خمسة عشر بيتا في كل قصيدة إلا القصيدة المسماة "كشف الغمّة في

---

[1]: نفسه: ص49.

[2]: نفسه: ص90.

[3]: نفسه: ص116.

[4]: نفسه: ص282.

[5]: السابق: ص65.

مدح سيد الأمّة" وهي ميمية طويلة يمدح فيها الرسول الأكرم وآل بيته الكرام صلى الله عليه وسلم"[1].

عملية الأخذ والعطاء بين شخصية الشاعر وخصائص المجتمع الغربي:

تفرّد البارودي بالوصف فتناول كابن الرومي وصف بشخصيته وبين ما لها من خصائص نفسية وفردية، وتمثل ذلك كله في رثائه لأهله وأصدقائه كما كانت شخصيته الحربيّة والأخرى المعبّرة عن حياته في المنفى، هذه كلها تدلنا على ما تحفل به شخصية البارودي نفسيا وجسميا وفكريا.

يخاطب الشاعر نفسه في مواقف مختلفة، منها أن الشاعر، أي الذات ولا يتجاوز إلى الآخر فيخاطب نفسه بالتحديد دون غيره منها قصائد أنشدها لضعف جسمه في المنفى:

وَنَزَعتُ عن نَزَقِ الشبيبة وَالصِّبَا بعدَ المشيبِ وللشبابِ تُراقُ

وَلبستُ هذَا الدّهرَ من أطرافِـه ونزعتهُ وقميــصَه أخلاق[2].

كما نجد في ديوانه نوعا مختلفا من الذات وهو "أنا" المتكثرة التي تشمل كل آحاد المجتمع، وذلك حينما تخاطب نفسه فتختفي "أنا" الشاعر الجماعية والذات الاجتماعية خلف "أنا" النوعية، حيث يتكلم الشاعر عن الدهر والشكوى والحنين والشعر السياسي وبذلك يعبر عن معاناة كل إنسان يعيش في المجتمع فتكون هو حبس الشاعر ردة فعل قومه حيال مستحدثات عصره. وتتخذ نفس الشاعر مع مجتمعه "أنا الشاعر مرآة المجتمع وهذا طبيعي لأن ركيزة الشاعر الأولى هي الوطن وكل ما حدث في حياته كان لأجله، فيجتمع أحيانا مع حنينه إلى الوطن وشعره السياسي وتحريضه للناس لطلب الحرية وتحرير وطنهم.

والتطرّق إلى مسألة الوطنية قد يقلص الأغراض الأخرى لاسيما تفاصيل المسائل الاجتماعية التي أصاب بها المجتمع كما يقول إيليا حاوي "يبدو أن يقلص الشعر الاجتماعي لأنّ الشاعر لا يعني بمفهومه الخاص الذي لا يتعدى إلى المشكلة الجزئية كالفخر، الوصف وما أشبه ذلك وقلما عبر عن التجربة المرتبطة بحدود الزمان والمكان"[3].

---

[1]: ينظر: مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي ص:14.

[2]: محمود سامي البارودي: ص193.

[3]: ينظر: مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي ص:15-16.

ويمكن القول بأن الشعر البارودي الاجتماعي يرتبط بمسألة خاصة تهتم بها الطبقة العليا من المجتمع وهي مسألة وطنية فالشاعر جعله همّه وإحساسه في سبيل الوطن، فامتزجت نفسه بالوطن وأصبحا شيئا واحدا.

الالتزام في شعر الاغتراب:

يرتبط مفهوم الالتزام بمفهوم الأدب القائم على صلة وثيقة بالحياة ويتناول الالتزام، الجانب الفكري من الأعمال الأدبية ويتجلى في الموقف الذي يتخذه الأديب مما يجري حوله.

بما أن الاستعمار والغزو شنا حروبا في مختلف المجالات شاملة على البلاد العربية، اهتم الشعراء في العصر الحديث بالتغيرات الطارئة على المجتمع فعالجوها في شعرهم، ولعلّ السّمة الكبرى التي يهتم بها الشعر العربي الحديث هي سمة الثورة وعمل تفجير الوعي الداخلي في الأجيال العربية ليضيف إلى الثورات الوطنية أبعادا اجتماعية وفكرية ونفسية[1].

ومن أجل ذلك تسربت الأفكار القومية إلى البلاد العربية وفي طليعة هذا العصر التزم الشعراء ورائدهم سامي البارودي بالظروف التي كانت سائدة في زمنهم وبالأوضاع التي تعرضت لمجتمعهم وهو رائد المدرسة الكلاسيكية الذي جعل أصولها على قواعد القدماء والتزم بها التزاما تاما في اللّفظ والأسلوب والوزن والصياغة، ولا فرق بين شعره الاغترابي وغيره، فعندما يقرأ القارئ شعره يرى البيئة الجاهلية والأموية والعباسية تتجلى فيه، فهو أحيا التراث الماضي وتعود قيمة شعره وفنه إلى إحياء اللغة.

يعتبر أدب البارودي أدبا كلاسيكيا بصبغة أرستقراطية، وهذا الأمر لا يسمح له حرية التعبير وبيان ما يريد ويرغمه أن يبرز عواطفه في قوالب خاصة، ومن خصائص الأدب الكلاسيكي التعادل بين العقل والعاطفة فالبارودي شاعر معتدل في أكثر حالاته النفسية وعلى الرغم من حوادث المختلفة التي جرت له في حياته لكن سياق شعره لا يتغير كما تغيرت حياته والأمر الآخر الذي نشاهده في شعره في المنفى هو غلبة روح الواقعية وعدم توسيع مجال للخيال.

[1]: ينظر: مجيد صادقي مزيدي: شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي ص:16.

فهذا عنصر من العناصر الرئيسية في الشعر التقليدي[1] أما من حيث المضمون والمفاهيم، فلم يحصر الشاعر معانيه في القديم بل صاغ المضامين الحديثة المنبثقة من واقعه الاجتماعي والقضايا السائدة في زمنه في قوالب كانت رائجة من القديم، والاتجاه الوطني أهم مسألة التزم به البارودي، في أشعاره الاغترابية، يذكر الوطن ويحنّ إليه، ويخاطبه كلّما وجد الضرورة وسنحت له الفرصة.

أما من حيث التزامه للزمان، فلقد غلب الزمان ماضيه وحاضره على شعر البارودي، إذ لا ينفصل عن حاضره ينشر أشعارا ملائما مع العصور المتقدمة ويلتزم باستخدام المعاني الجديدة والوقائع الراهنة في عصره في القوالب القديمة وهذا لا يناقض التزامه بل على العكس يدل على تفوقه في الأدب حيث استطاع الشاعر أن يجمع بين الزمنين لأغراضه المنشودة ويستفيد من الزمن في الإطار التزامني الذي تعهد وهذا ما يقل عن الشعراء.

وإن لم يعكس البارودي جوانب مختلفة لمجتمعه تماما ولكنّه أجمع بين المواصفات البارعة الموضوعية والأدبية فتخلد في الدهر كما يؤكد نفسه على ذلك في قوله:

سَيَبْقَى بِهِ ذِكْرَى عَلَى الدَّهْرِ خَالِدَا وَذِكْرُ الفَتَى بَعْدَ المَمَاتِ خُلُودُهُ[2]

وللباحث أن يعترف بأن البارودياستطاع في نهاية المطاف أن يوظف شعره وأدبه في قضايا مجتمعه وبيئته وحارب ما يتحدى وطنه بسيف الشعر وقناة القلم فأدى ما عليه.

التجديد في الشعر البارودي:

نتناول الآن منزلة الشاعر في الأدب العربي وهل كان شاعرنا صدى للشعراء الذين تأثر بهم؟ وأم أنه استقل ورسم له طريقا خاصا وكون لنفسه شخصية أدبية تبقى خالدة؟.

1- الوصف :يعد الوصف جديدا لدى البارودي، وذلك لما بعث فيه من لمسات تعبر عن سعة ثقافته واستقلال منهجه حيث أفرد للوصف قصائد مستقلة، ولم يأت به –أيالوصف- عرضا في ثنايا القصائد، لأن شاعريته وحواسه المرهفة وتذوقه للجمال كانت تدفعه إلى

[1]: السابق: ص16-17.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص91.

قول الشعر ووصف مشاهداته لا كما هي في الطبيعة، ولكنه يخرجها ملونة بلباس جديد لتمثل شخصيته وشعوره وفكره.

وموضوعات الوصف التي عالجها البارودي في شعره عديدة ومتنوعة:

أ- وصف مظاهر الطبيعة:

يصف شاعرنا الليلة العاصفة الممطرة ويجعلنا نحس بقوة الرعد وعزف الرياح وشآبيب المطر، وسواد تلك الليلة ووحشتها ويصف النجوم وجمالها ويصف السحاب الممطر والبرق والرعد وتأثيرها في الإنسان والأرض، كما يصف البحر الهائج والريح العاتية تعلو الموج، فتحيله جبالا شامخة الذرى، كما يصف الجبال والغابات فهو مصور ماهر في وصف الطبيعة[1] يقول:

وَلَيلَة ذَاتَ تـهلتان وَأَنـــــدِية كَأَنَّمَا البَرقُ فِيهَا صَارِم سَلّـطَ
لَفَّ الغـمَامُ أَقَاصِيهَا بِبرْدَتِـــه وَانهَل فِي حُجرَتيها وَابل سبط
بَهمَاء لَا يَهتَدي السَاريب ِكَوكَبِهَا من الغمَام وَلا يَبدو بِها نَـمـط
وَمُرَبَّعُ لِنَسِيمِ الفَجْرِ هَـيمَنَـــة هِ وَلِلطّير فِي أَرجَائِه لَغَـــــط
وَللنَسِيم خَلال النَبتِ غَلغَلَـــة كَما تَغلغَلَ وَسط اللّمّة المَشط
وَللسَّماءِ خُيُوط غَيرَ وَاهِيَـــة تَكَادُ تَجمَع بِالأَيدِي فَترتَبـــطُ[2]

في هذه الأبيات يسمو البارودي بإحساسه وبراعة تصويره لنتأمل كيف وصف النسيم وهو يمر من خلال النبات وخيوط المطر وهي تنزل من السماء.

كَمَا تغنى كثيرا بمفاتن الطبيعة في وطنه كقوله يصف الربيع:

عَمَّ الحَيا وَاستَنت الجَدَاوِلوَفَاضت الغُدَران وَالمَنَاهِل

وازينت بِنُورِهَا الخَمَائِـلُ وَغَرَّدَت فِي أَيكِهَا البَـلَابِلُ

[1]: ينظر: صالح على الجميلي: مظاهر التجديد في شعر محمود سامي البارودي مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية مجلد: 14-العدد:5 سنة 2007 ، ص4.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص168.

وَالبَاسِقَات الشَّمخِ الحَوَامِلُ مَشمُورَة عَن سَوقِهَا الذَّلَائل

مَلويَةٌ في جِيدِها العثَاكلُ مَعقُودَة فِي رَأسِهَا الفَلَائـل[1]

في هذه الأبيات يقف شاعرنا طويلا أمام النخيل والسواقي ثم يقدم لنا صورا جميلة، فأغصان النخيل كأنها ذلائل او نهايات قميص وقد شمرتها النخيل حتى أعناقها، لوت في جيبها العثاكل أو عذق بلح وشماريخ وعقدت في رأسها فلائلها أو أليافها المجتمعة، تبدو لنا معانيه قريبة وتشبيهاته واضحة غير متكلفة، وخياله واف لا إغراب فيه.

ب- وصف الأشخاص:

يبدو الشاعر مصوِّرا ماهرا في شعره، وتبدو على لوحته دخائل النفوس وأسرار القلوب والحركات والإشارات، وينطبق الكلام ذاته على وصف الحروب من الموضوعات القديمة التي تناولها الشعراء قبله، فان تصوير الأشخاص من الموضوعات النادرة التي أجاد فيها القليل من فحول الشعر العربي[2].

البارودي يصف البلغار في بلادهم حين رافق الحملة المصرية لحرب الروس:

بِلَادٌ بِهَا مَا بِالجَـــحِيمِ، وَإِنَّمَـــــا مَكَانُ الـلّظَى ثَلْجٌ بِهَا وَجَلِيدُ

تَجَمَّعَت البُلْغَارُ وَالتُّرُومُ بَـــــيْنَها وَزَاحَـمَهَا التَّتَارُ فَهِيَ حُشُودُ

إِذَا رَاطَنُوا بَعْضَهُم سَمِعْتَ لِصَوتِهِمْ هَدِيرًا تَكَادُ الأَرْضُ مِنْهُ تَمِيدُ

قِبَاحُ الـنَوَامِي وَالوُجُـــــوهُ كَـأَنَّهُـم لِغَيْرِ أَبِـــي هَذَا الأَنَـامُ جُنُودٌ

لَهُمْ صُوَرٌ لَيْسَتْ وُجُوهَـــا وَإِنَّمَـا تُـنَاطُ إِلَيْهِـــا أَعْيُن وَخُدُودُ[3].

يصف لنا شاعرنا رطانتهم وعجمة ألسنتهم وقبح رؤوسهم ووجوههم حتى كأنهم ليسوا من البشر، وأن وجوههم متشابهة لا تستطيع التفريق بينها، بل لا يريد أن يعترف

---

[1]:السابق: ص223.

[2]: ينظر: أ.د صالح الجميلي: مظاهر التجديد في شعر البارودي : ص:6.

[3]: محمود سامي البارودي: الديوان : ص89.

بأذلهم وجوها وإنما هي صور وضعت فيها أعين وخدود، وفي الأبيات الآتية يذم البارودي شخصا ويصفه بالنهم والجشع بقوله:

وَصَاحِبٌ لَا كَانَ مَن صَاحِب أَخلَاقِه كَالمُعدة الفَاسِدة

أَقبحُ مَا في الناسِ من خصلةٍ أَحسنَ مَا فِي نَفسِهِ الجَامِدَة

لَو اَنَه صَوَّرَ مِن طَبــعِــه كَان لَعمرِي عَقرَبًا رَاصدَه

يَصلَح للصَّفعِ لَكي لا يـرى في عَدَدِ النَّــاس بِلا فَائِدة

يَغلِبه الضّــعفُ وَلَكــنَّه يَهدَم فِي قَعدــتِه الَمائدَة

يُراقِبُ الصَّحن عَلَى غَفلَة مِن أَهلَه كَالهِرَّة الصَائدَة[1].

جـ - وصف الأشياء الأخرى كالسجن والقطار والخمر:

يقول في وصف السجن:

شَفَنِي الوَجْدُ وَأَبْلَانِي السِّرَ وَتَغَشَّتْنِي سَمَا دِيرُ الكــدرِ

فَسَوَادُ اللَّيلِ مَا أَن يَنْقَضِي وَبَياضُ الصُّبح مَا إن ينتظرُ

لَا أَنِيسٌ يَسمَعُ الشَّكوَى وَلَا خَبَرٌ يَأتي، ولا طـيف يمرُّ

بَينَ حِيطانٍ وَبابٍ مرصدِ كلَّمَا حَرَّكه السَّجان صُدَّ

كُلَّمَا دُرَت لأقضيَ حاجةً قالت الظلمةُ: مهلًا لا تدرْ[2].

ففي هذه الابياتيبدو شاعرنا واقعيا يصور مأساة السجن ويصف فيها مشاعره بكل دقائقها.

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان : ص108.

[2]: نفسه: ص 137.

د- لم ينس شاعرنا مجد آبائه المماليك الذين حكموا مصر:

يستحضر هذا المجد في مجد وطنه وما كشفه علم الآثار من أمجاد المصريين القدماء، صور البارودي ذلك في قصيدة وصنف فيها الهرمين وهي أول قصيدة حديثة في الآثار الفرعونية[1] يقول فيها:

سَل الجِيزَةَ الفَيحَاءَ عَنْ هَرَمِي مِصرَ لَعَلَّكَ تَدْرِي بَعْضَ مَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي

بَنَاءَان رَدَا صُولَةَ الدَّهْرِ عَنْهُمَا وَمَنْ عَجَبَ أَن يَغلُبَا صُــولَةَ الدَّهْرِ

أَقَامَا عَلَى رَغْمِ الخُطُوبِ لِيَشهَدَا لَبَانَيْهِمَا بَيْنَ البَرِيَّـــــــة بِـالفَخْـــرِ

فَكَم أَمَامَ الدَّهْرِ بَادَت وَأَعْصُـرِ خلَت، وَهُما أُعجُوبَة العَين والفكرِ[2].

وليست هذه القصيدة الوحيدة التي أشاد فيها بالأهرام وبقدماء المصريين يقول في قصيدة أخرى:

أَي شَيء يبَقَى عَلى الحَدَثَان وَالمَنَايَا خَصِيم الحَيَوَان[3]

ويقول في قصيدة ثالثة:

بقِوَّةّ العِلمِ تَقوى شَــوكَة الأُمَم فَالحُكم فِي الدَّهرِ مَنسُوبِ إِلى القَلَم

فَانظُر إِلى الهَرَمين المَائِلين تَجد غَرَائب لاَ تَرَاهَا النَّفس فِي الحُلُــم[4].

[1]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 123.

[2]: محمود سامي البارودي : الديوان: ص123.

[3]: نفسه: ص 282.

[4]: نفسه: ص233.

ه- وصف المخترعات الحديثة:

كان البارودي حريصا على أن يستمد تشبيهاته من هذه المخترعات مثل الكهرباء وآلة التصوير، رغبة منه في تمثيل عصره أحيانا أو إثارة الطرافة لدى المتلقي نلحظ كيف أنه استعار الكهرباء في عزله في قوله:

وَسَرَت بِجِسْمِي كَهْرَبَاءُهُ حُسنُهُ فَمن العُرُوقِ بِهِ سُلُوكٌ تُخبَرُ[1]

ويقول:

آلا يَا لِقَوْمِي مِن غَـزَالٍ مُرِيبٍ تَجُولُ وَشَاحَاهُ عَلَى قَنَنٍ رَطِبِ

تَعَرَّضَ لِي يَوْمًا فَصَوَّرَت حُسنَه بِبَلْوَرَتِي عَيْنِي فِي صَفْحَةِ القَلْبِ[2].

كما يقول:

فَالعَقْلُ كَالمِنْظَارِ يُبْصِرُ مَا نَأَى عَنْهُ بَعِيدَا دُونَ لَمْسٍ بِاليَدِ[3].

ويقول:

شَّفت زُجَاجَةٌ فِكرِي فَارتَسَمَت بِهَا عُلَيَاكَ فِي مَنْطِقِي فِي لَوْحِ تَصْوِيرٍ[4]

2- الشعر السياسي:

من الأغراض القديمة التي خلع عليها البارودي لباس الجدة ولا مستها بوادر التجديد، وظهرت فيها شخصيته واضحة جلية تعبر عن نفسه الأبية المتمردة على الظلم والاستبداد، يدعو شاعرنا إلى حب العدالة والشورى والمساواة بين الناس في شعره السياسي مما دفعه إلى أن يحتل مركز الصدارة بين أبناء شعبه وأمته وأصبح زعيما وطنيا محبوبا لذلك زج به

[1]: نفسه: ص127.

[2]: نفسه: ص56.

[3]: السابق: ص 80.

[4]: نفسه: ص 121.

في غياهب السجن، وأبعد عن وطنه ولكنه لم يكف عن هذا الشعر الوطني والسياسي على الرغم مما لقيه من نفي وتشريد ومرض، وظل هذا الشعر يحرق الطغاة المتجبرين، لذلك طالت مدة نفيه عن دياره ولم يسمح له الحكام بالعودة إلى وطنه إلا أن دب إلى جسمه دبيب الفناء وأصابه الضعف والهزال[1].

يبدو البارودي في قصائده السياسية محبا للحرية متمردا على الظلم شأنه شأن كل رجل شجاع سيدافع عن وطنه، ولعل للوراثة والنشأة التي نشأها أثرا في هذا الموقف غداة مما حفظه من شهر الحماسة عند العرب القدماء وهم أبطال الحرية في فيافيهم وكان شعرهم سجلا صادقا لمكارم أخلاقهم، كل هذا أثَّر في البارودي بعد أن اطلع على دواوين الشعر العربي القديم وهو بعد عز صغير حيث رسخت هذه الصفات والخصال الحميدة في ذهنه، وشب مطبوعا عليها يمثلها نماذج يحتذيها ويود أن يحققها عملا في الحياة يقول:

لا عَيبٌ فِي سِوى حُريَّة مَلَكَت أَعَنَّتي مِن قبُول الذُّل بالمَالِ

تَبعَت خُطة آباني فَسرت بِها عَـلى وَتِيرة آدابٍ وآمَالٍ[2].

حقق شاعرنا في قصائده السياسية والوطنية حين انتقل بها من عالم الفردية الذاتية التي يعيش فيها إلى عالم أرحب وأوسع هو خدمة الوطن، وتحول من معالجة محور الحياة الخاصة الذي يدور فيه الى مجال النضال الوطني الكبير، ثورة يريدها أن تمتد من نفسه إلى أبناء شعبه، فتساعدهم ليستأصلوا أسباب ذلهم وعلة ظلمهم.

وكان البارودي في شعره السياسي ناقدا اجتماعيا وثائرا وطنيا ومصلحا صريحا شديد الحرص على حرية أبناء بلده ناقدا لهوانهم وذلهم وتهاونهم في الرد على الظلم والسكوت[3] وعليه يقول:

وَكَيـــفَ تَـرونَ الذُلَّ دَار إِقـامـة وذلك فَضلُ اللهِ في الأَرضِ وَاسِـع

---

[1]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 8-9.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص216.

[3]: ينظر:صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 9-10.

أَرَى رؤوسا قَد أَينَعَت حَـصَادَها فَأَين-وَلا أَين- السَّيف القَواطـــعُ؟

فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِين أَو أَفزِعُوا إِلى الحَرب حَتَى يدفَعُ الضِيمُ دَافعُ

أَهَبت فَعَاد الصَّوتَ لَم يَقضِ حَاجَة إِلى وَلَبَانِي الصَّدَى هُو طَـــــالِع

فَلَم أَدر أَنَّ الله صَوَّر قَبـــــلَكُم تَمَاثِيل يخلَق لَهُنَّ مَسامِـــــــع[1].

وكثيرا ما تغنى بمصر وجمالها وسحرها لاسيما في المنفى إذ ظلت تلك القصائد تؤكد مشاعره تجاه وطنه وأحبابه يقول:

فَيَا مِصرُ مَدَّ اللهُ ظِلَّكِ وَآرتَوَى ثَرَاكِ بِسِلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقُ

وَلَا بَرَحَت تَمْتَارُ مِنْكِ يَدُ الصِّبَا أَرِيجًا يُدَاوِي عُرفَهُ كُلَّنَا شِـتقِ

فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي وَمُشْعَبَ أُسْرَتِي وَمَلْعَبَ أَتْرَابِي، وَمجْرَى سَوَابِقِي

بِلَادٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِـي وَنَاطَ نِجَادَ المَشرفيُّ بِعِنَاقِـي[2].

والبارودي يتجاوز تصوير المشاهد الحسية إلى تصوير المشاعر الدفينة ولعل أكبر حالة نفسية صعبة عاشها البارودي هي غربته في جزيرة (سرنديب) في أثناء مرحلة نفيه إلى تلك الجزيرة اتسمت أشعاره في تلك الفترة بالحسرة واللوعة واللهفة وتنوعت في تأثيرها – أي غربة- على مشاعره ونفسيته تمخض ذلك عن أجمل القصائد التي يحن فيها إلى بلده مصر.

والحنين من الظواهر القديمة في الشعر العربي، يبدو في مطالع القصائد مع وصف الأطلال وفي النسيب والغزل، ولكن البارودي بزَّ أقرانه في هذا المضمار إذ ظل يتجرع غصص الغربة المريرة سبعة عشر عاما وكان بارعا في الوصف والتصوير، أخذ يصور حسرته وجزعه وتارة يبدو ذلك في التغني بالوطن والديار أو في بكاء الشباب وأيام البهجة أو في

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص174.

[2]:نفسه ص:205.

بكاء الحبيبة –زوجته- التي انقطعت بينه وبينها الأسباب أو في وصف الغربة أو حنينه إلى فلذات كبده تارة يتوجه إلى رثاء بعض أصدقائه وزوجته[1] قال البارودي في حب مصر:

بَلَدٌ نَشَأْتَ مَعَ النَّبـــَاتِ بِأَرْضِهَا وَلَثَمَت ثَغْرَ غَدِيــرِهَا المُبْتَسِمِ

فَنَسِيمِهَا رُوحِي وَمَعْدَن تُرْبِهَـــا جِسْمِي وَكَوْثَرُ نِيلِهَا مَحْيَا دَمِي

فَإِذَا نَطَقَت فَبْالثَّنَاءِ عَلَى الـــذِي أَولَـتهُ مِن فَضْـــلٍ عَلَيَّ وَأَنْعُمِ

هِيَ جَنَّةُ الحُسْنِ بِهَا سُيُورُ تَمَائِمِي حَتَى لَبِسَت بِهَا خَمَائِلُ مَخْدَمِي[2].

3- الهجاء:

الهجاء نوعان: شخصي وهو ما تعارف عليه شعراء العربية، واجتماعي يراد به التهكم الذي يصدر عيبا من عيوب المجتمع، وذلك لغرض الإصلاح وقد يمثل هذا العيب الاجتماعي في شخص من الأشخاص، والدارس لشعر البارودي يجد نوعان من الهجاء: الشخصي والاجتماعي، وأكثر من الشعر الاجتماعي لعله يسهم في إصلاح مجتمعه نجده يشكو الناس ونفاقهم وظلمهم وغدرهم ويصور قومه ويعدد عيوبهم، كما يذم زمانه وينعي على معاصريه تلونهم وعدم وفائهم في صداقاتهم لاسيما وأنهم خذلوه وآذوه لذا تميز هجاء البارودي بأنه هجاء لاذع وساخر إذ يصب هجاءه على جماعة أو أفراد يضعهم في لوحة بارعة الأبعاد كثيرة الجزئيات تتفاعل فيما بينها لتنمو في اطار اللوحة العامة وهي أشد ما تكون قسوة وامتهانا[3]

يقول:

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ وَمَعَاشِرٍ يتلونُونَ تَلَوُّن الحِربَاء

أَعدَاء غَيبٍ لَيسَ يَسلَم صَاحِبٌ مِنهُم أُخوَة مَحضَر وَرَخَاء

---

[1]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 10.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص256.

[3]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 11.

أَقبِح بِهِم قَومًا؟ بلوت إخَاءُهُم فَبلوت أَقبح ذِمة وَإِخَـاء

قَد أَصبَحُوا للدَّهرِ سَبة نَاقِم فِي كُلّ مَصدَر مَحنَة وَبَلاء

وَأَشَدُّ مَا يلَقي الفَتَى فِي دَهرِهِ فَقَد الكِرام وَصُحبَة اللؤَمَاء

شَقِي ابنُ آدَمَ فِي الزَّمَان بِعقلِهِ إِنَّ الفَضِيلَة آفةُ الغُفَلاءِ[1]

ومن هجائه الشخصي قوله:

وَغَد تَكُونُ مِن لُؤْمٍ وَمِن دَنَسٍ فَمَا يَغَارُ عَلَى عَرْضٍ وَلَا حَسَبٍ

يَلْتَذُّ بِالطَّعْنِ فِيهِ والهِجَاءِ كَمَا يَلْتَذُّ بِالحَكِّ وَالتَـظفِيرِ ذُو الجَدْبِ[2]

يعد هذا الهجاء الاجتماعي جديدا في شعر البارودي، فقد صوَّر في هذا الشعر عصره والناس ملونا شعره الخاص، وحسبنا من الشاعر الحقيقي أن يصور ما يختلج في صدره من عواطف غير متكلفة ولا مصطنعة تقوم على المجاملات والنفاق الاجتماعي والمدح والكذب.

4- الرثاء:

امتازت مراثي البارودي بصدق الإحساس ورقة العاطفة لذا فإنه لم يرث صديقا أو قريبا إلا كان رثاؤه صادقا بعيدا عن شعر المناسبات، ويبدو على شعره الحزن العميق بعد أن تسلم خبر وفاة زوجته وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر العربي في رثاء الزوجات يقول:

أَيدُ المَنُون قَدحَت أيُّ زِنادِ أطَرت أي شُـعلة بِفؤادِي

أَوهَن عَزمِي وَهو حَـملَة فَيلَقٍ وَحطمت عُودِي وَهو رُمح طِرَادِ

لَا أَدرِي هَل خَطبُ أَلم بسَاحَتي فَأَنَاخَ، أَم سَهم أَصَابَ سَوَادي؟

أَقذَى العُيَون فَأَسلَبَت بِمدَامِع تَجرِي عَلَى الخَدَينِ كَالفَرصَـاد

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان: ص38.

[2]:نفسه: ص60

مَا كُنتُ احسَبُنِي أُراع لحَادث حَتَى مُنيتُ بِه فَأوهَن آدي

أَبلَتني الحَسَرَات حَتى لَم يَكد جِسمِي يَلوحَ لأعيُـن العوّاد

استَنجِدُ الزَّفَرَات وَهي لَوَافِح وَأسقِه العَبَرَات وَهي بوَادِي[1].

ويقول في رثاء ولده علي:

كَيفَ طَوَتكَ المَنونُ يَا وَلَـــــدِي؟ وَكَيفَ أَوعَدتُكَ الثَرَى بِيـــَدِي

وَا كَبِدِي يَا عَـلِي بَعْدَكَ! لَـــــوْ انَت تَبل الغَلِيلَ وَاكَـــــــــبدي !!

فَقدُكَ سَلَّ العِـظَـــــامَ مِنـــي وَرُ دَّ الصّبرَ عَني وفتّ فِي عَضُدِي

كَم لَيلَة فِيكَ لَا صَبَـــاح لَـــهَا سَهرتهَا بَاكِيًا بِـلَا مَـــــــــدَدِ

دَمعٌ وَسَهَـــــرُ وَأيُّ نَـــــاظِـرَةٍ قَى عَلى الَمدمَعَيــن والسَّــهَـدِ؟

لَهَفِي عَلَى لمَحـــَة النَجَـابَـة لَوْ دَا مَت إِلَى أَن تَفـــــــوزَ بِالسَّعْدِ

مَا كُنتُ أَدرِي إِذَا كُـــنـــتُ أَخشَى عَلَيكَ العين أَن الحمِامَ بالرَّصيد

فَاجَأَني الدَّهرُ فِيكَ مِن حَيثُ لَا أَعـ لَم خَتَلا، وَالدَّهـــــــرُ كَالأَسَدِ

لَولَا اتِّقَاء الحَيَاءِ لاعتـــــضتُ بالـ حلم هُيَامًا يحيقُ بِالجِلـــــــــدِ

لَكن أَبت نَفسِي الكَريمَـــــة أَن أثـ لم حَدّ الـــــــعَزَاء بِالكَـمَـد[2]

[1]: السابق: ص93.

[2]: السابق ص:95.

5- الفخر:

أما فخر البارودي فلم يتناوله لغرض تقليد الآخرين، بل لدواع تتعلق بشخصيته الطموحة، فلو أمعنا النظر في أية قصيدة من قصائده في الفخر لوجدنا فيها معاني الإباء والشمم والاعتزاز بالنسب، والتحلي بالشجاعة والإشادة بالمواقف الصعبة التي تمثل طموحاته وتجاربه الحياتية[1] يقول شاعرنا مفتخرا:

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَن يَسُودَ وَضِـــــيعُهُ وَيَمْلِكَ أَعْنَاقَ المَطَالِبَ وَغَـــــدِّهِ

تَدَاعَت لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا ثَعَـــالَـــــة وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الوَتِيرَةِ أَسْـــــدِهِ

فَخِتَامُ سِرِّي فِي دَيَاجِيرِ مِحْـــــنَـــةٍ يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحبَةِ السَّيْفِ غَمدِهِ

إِذَا المَرْءَ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الجُورِ إِن سَطَت عَلَيْهِ فَلَا يَأْسَفِ إِذَا ضَاعَ مَجْـــدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفُ المَوتِ كَانَت حَيَاتُـهُ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِـــنَ حمَـــا يُـــؤَدِّهِ

عَلَامَ يَعِيشُ المَرْءُ فِي الدَّهرِ خَامِلًا؟ أَيَفرَحُ فِي الدُّنْـيَـــــا بِـيَومِ يَعِدُهُ

يَرَى الضَّيمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْـــــعَهُ كَذَى جَرَّبَ يَـلْتَذُّ بِالحَكِّ جِـــلْدُهُ

عَفَا عَلَى الدُّنْيَا إِذَا المَرْءَ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطَل يَحْمِي الحَـقِيقَةَ شَـــدُّهُ

مِنَ العَارِ أَنْ يَرْضَى الفَتَى بِمَذَلَّةٍ وَفِـي السَّيْفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ[2]

أما ما قاله البارودي في الزهد فهو قليل ولم نلمس فيه ما يدل على التجديد وإنما كان مقلدا لسابقيه، وتخلل هذا الشعر بعض المواعظ والحكم التي استمدها من خلال تعامله مع الناس وتبدو على زهدياته لمسات من التشاؤم المنبعث من المصاعب التي تعرض لها في حياته[3] يقول:

---

[1]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 13.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان ص82.

[3]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي- الديوان: ص 13-14.

كُل حَي سَيمُـــــوتُ لَيسَ فِي الدُّنيَا ثُبُوتُ

حَرَكَات سَوفَ تفضِى ثُمَّ يَتلُوها خُـــفُوتُ

وَكَلَامٌ سَوفَ يَحلُّــو بَعدَهُ إلاَّ السُّكُــوتُ

أَيُّهُا السَّادِرُ قُـــــل أيَنَنَ ذَاكَ الجبروتُ؟

أَينَ أَمْلَاك لَهُـم فِي كُلِّ أُفُقٍ مَلـكُــوتُ

زَالَت التيجَان عَـنهُم وَخَلَت تِلكَ التُخُوتُ[1]

ومن حكمة قوله:

وَمَن تَكُنْ العَلْيَاءُ هِمَّة نَفْسِهِ فَكُلُّ الذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ[2]

ومن حكمه الأخرى قوله:

مَن صاحَبَ العَجزَ لَمْ يَظْفَر بِمَا طَلَبَ فاركَب مِن العَزمِ طَرفًا يَسبَق الشُّهُبَا

لَا يُدرِك المَجد إلاّ مَن إذَ هَتَـــــفَت بِهِ الحِميَةُ هَزَّ الرمـــــــح وانتصَبَا

لَا يَقعُدُ البَطَلُ الصِندِيدُ عَن كَـــــرَمٍ مِنجَادٍ بِالنَّفسِ لَم يَبخَلِ بِمَـــا كَسَبَ[3].

وتأسيسا على ما تقدم تبين لنا أن البارودي يعد حامل لواء الشعر العربي الحديث، فقد خلصه من أساليبه الركيكة المبتذلة وقيوده البديعة وأغراضه الضيقة التي كانت تقتصر على الزلفى والتملق، ونفخ فيه من روحه وروح قومه وعصره وبيئته،ما بعث في شعرنا الحديث الحياة كما نفخ فيه روح العروبة، فإذا الحاضر يتصل بالماضي اتصالا خصبا حيًّا وإذا الماضي ينبعث من جديد بعثا تبرز فيه الشخصية العربية وانبعثت في ظل شعره مدرسة البعث والإحياء أو النهضة ومن أبرز أعلامها إسماعيل صبري، حافظ إبراهيم،

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان ص65.

[2]: السابق ص46.

[3]: نفسه: ص54.

أحمد شوقي، وخليل مطران. بل استظلت بظله جميع المدارس التجديدية التي تلته في القرن العشرين.

- **الخصائص الفنية لشعر الاغتراب عند البارودي:**

عندما يبتعد الشاعر عن مسقط رأسه وذويه يسعى أن يواكب أدبه ظروفه البيئية والنفسية، ويبرز ذلك عنده في الجوانب المختلفة اللفظية، المعنوية، منها خصائص غنية تجلت في طول أشعاره التي أنشدت في المنفى واتخاذ الأساليب الخاصة ووحدة الموضوع والتنوع والصدق والسهولة والتكرار.

1- طول الأشعار:

القصيدة الكلاسيكية الطويلة هي القالب الغالب في شعره، ويرجع دليل اختيار هذا النمط الشعري إلى تعاريج حال الشاعر في المنفى، أما المقطوعات الشعرية القصيرة فتكثر في الحالات المضنية والمسائل العاطفية المعنوية كالموضوعات التي تربطها أواصر بالحنين والرثاء والزهد والحكمة وما إلى ذلك، البيت الواحد هو أقل ما أنشده البارودي بينما أطول قصائده تبلغ أربعمائة وسبع وأربعين بيتا وذلك في قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته[1] مطلعها:

يَا رَائِدَ البَرْقِ يَمِّم دَارَةَ العِلْمِ وَاحد الغَمَامَ عَلَى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ[2]

2- البحور العروضية:

البحور العروضية التي استخدمها البارودي على التوالي هي: الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف، وهي أكثر استخداما في شعره الاغترابي وتدل هذه الأوزان على تنوع حالات البارودي النفسية وتناغم هذه الأوزان مع موضوع الشاعر كما نرى البحر الطويل أول هذه البحور.

[1]: ينظر: صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي الديوان ص615.

[2]: نفسه ص

3- أسلوب الحوار:

إن الأساليب التي اتخذها الشاعر في المنفى تختلف عما قاله في وطنه، منها أسلوب الحوار، فيتحدث الشاعر مع العناصر المختلفة من الطبيعة والأشياء التي تلف حوله، فتارة يخاطب حمامة تنوح معه[1] فينشد:

أَتَرَى الحَمَامَ يَنُوحُ مِن طَرب مَعِي وَنَدَى الغَمَامَة يَستَهِل لِمَدْمَعِي[2]

ويخاطب عناصر الطبيعة في مكان آخر:

مَا للنَسيم بِلَيـــلَةٍ أَذيَـــــــــالَه أَتَرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاولَ أَدمُعِي

بَل مَا لِهَذَا البرق مُلتَهِب الحَشَا؟ أَسَمَت إِليهِ شَرَارَة مِن أَضلُعِي

فَالغَيثُ يَهمُني رِقَة لِصَبَابَتِـي وَالطَّيرُ تَبكِي رَحمَةً لِتَوَجُّعِي[3]

يمزج البارودي كثيرا ما بين الطبيعة وبين عالمه الداخلي الوجداني فيستخدم صيغة التشخيص، مستخدما أسلوب النداء وصيغ الأمر والاستفهام وأسلوب الحوار:

مَا أَطولَ اللَّيلِ عَلَى السَّاهِرِ أَمّا لِهَذَا اللَّيلِ مِن آخرٍ؟[4]

وينشد في مكان آخر:

فَيَا دُمُوعَ القِطرِ سِيلِي دَمًا وَيَا نَبَاتَ الأَيكِ نُوحِي مَعِي

وَأَنتِ يَا نسمة وَادِي الغَضَى مُرّي برّياك عَلى مربعِي

وَأَنتِ يَا عُصفُورةَ المُنحنَى بِالله غَنّي طَرَبًا وَاسجُعِي[1]

---

[1]: نفسه : ص6.

[2]: محمود سامي البارودي: الديوان ص175.

[3]: السابق ص175.

[4]: نفسه ص138.

بما أن تم نفيه في الغربة واليأس والتشاؤم جعلته يستمد من عنصر الزمن مشاطرة لحاله، فالليل من العناصر الرئيسية في شعره ونرى أنه يأتي بذكر الليل كثيرا في شعره لو قارناه بالأوقات الأخرى وهذا الأمر يلائم حالته المغتربة، حيث يشكو من ظلمة الليل ومن طولها وكثرة تهجده منشدا:

أَبيتُ أَرعَى نُجُومَ اللّيل فِي ظُلَـــمِ يَخشَى الضَلَالَةَ فِيهَا كُلَّ مُـــــــدلجِ
لَيلُ غَيَاهِبُهُ حَيرَي وَأَنجُـــــــــمُـهُ حَسَرى وَسَاعَاتُهُ فِي الطّولِ كَالحِجَجِ
كَأَنَّما الصُّبحُ خَافَ اللّيلُ حِينَ رَأَى ظَلَمَاءُه ذَات أَسدَادٍ فَلم يلـــــــــجِ[2]

4- أسلوب الاستفهام:

ومما يستخدمه في بداية القصائد هو أسلوب الاستفهام ويستمر هذا التساؤل ويتخلل شعره، كأنما يريد أن يسلي نفسه وعواطفه المؤلمة ومن جانب آخر يحاول تنبيه السامع بهذه الأسئلة المتوالية للتعمق في هذه المعاني، علّ المخاطب يشاطره في تلك الآلام وينتبه[3]

كَيفَ طَوَتكَ المَنُونُ يَا وَلَدي وَكَيفَ أَودَعَتكَ الثَرَى بِيدِي؟
فَلَبَيكَ قَلبِي عَلَـــيكَ فَالغَيبُ لاَ تَبلُـغ بِالدَّمع رتبـة الخُلدِ[4]

في مكان آخر تتابع هذه التساؤلات الممزوجة بالإنكار:

هَل لِسَّلامِ العَلِيل رَدَّ؟ أَم لصَبَاحِ اللِّقَاء وَعَد[5]

.....

[1]: نفسه ص 176.

[2]:نفسه ص 69.

[3]: ينظر: أ.د صالح علي الجميلي: مظاهر التجديد في الشعر البارودي الديوان ص7

[4]: محمود سامي البارودي: الديوان ص95.

[5]: نفسه : ص98.

يَا سَعد قُل لِي فَأَنتَ أَدرَى مَتَى رَعَان العَقِيق تَبدُو؟

أَشتَاقُ نَـــــجدًا وَسَاكِنِيـه وَأَينَ مني الغُداةُ نَجد؟

فَكَيفَ أُمسِي بِغَيرِ قَلبٍ يَا نُورَ عَينِي وَكَيفَ أَغدُو؟

5- وحدة الموضوع وتنوعه:

وحدة الموضوع لا تنافي تنوع المواضيع عند البارودي، إذ تتنوع الموضوعات في قصائده ولكنها في القصيدة الواحدة تنحو نحو غرض واحد معين مع انسجام المؤهل في العاطفة والإحساس، إذ أنشد أكثر قصائده في الشكوى والحنين وكل الموضوعات التي ترتبط بالوطنية من هذا النوع ويجب التنبيه بأن تنوع الموضوعات عنده لا يعني عدم الانسجام والارتباط بين أجزاء القصيدة[1] فمثلا في قصيدة مطلعها:

وَلَقَد عَلوت سراة أَنَّهم لَوجَرى فِي شأوِهِ بَرقَ تعثَّر أَو كَبَا[2]

يتحدث عن الحب والحماسة والفخر والرثاء والشكوى والحنين الى الوطن والحكمة، لكنه يربط مضامين بعضها ببعض في صياغة رائعة

6- الصدق والسهولة والتكرار:

يجد القارئ فيما يقرؤه من الأشعار الاغترابية للبارودي أفكارا سهلة واضحة غير غامضة ولا معقدة وألفاظا جزلة قوية وصورا جزئية تقليدية مستمدة من القديم، فشعره متحرر من المحسنات البديعية الغامضة، وهذه هي مميزات العامة لأشعاره ويظهر هذا العنصر بشكل بارز في قصائد يعبر فيها البارودي عن مشاعر الحب والرثاء[3].

لَا تَحسَبِينِي مِلتُ عَنكِ مَعَ الهَوَى هَيهَات مَا تَركَ الوَفَاءُ بعبَادِي

[1]:.محمود سامي البارودي، 8

[2]:نفسه،43

[3]:نفسه: 8

قَد كُدتُ أَقضِي حَسرَةً لَو لَم أَكُن مُتَوَقَعًا لُقيَاكِ يَومَ مَعــَادِي[1]

وهذا عين ما نجده في قصائده الأخرى وإن اختلفت في بعض النقاط واستعصى اللفظ أو المعنى. كما أن التكرار في اللفظ والمعنى والمضمون والأساليب والدلالة الشعرية الخاصة للمفردة، تتبع ما جرى عليها القدماء وتأتي عبر الظروف المحيطة بالشاعر.

وخلاصة القول أن محمود سامي البارودي كان يحاول دائما تفجير طاقته في مجال اللغة من أجل اللغة من أجل التعبير وذلك بتوظيف ألفاظ جيدة وقوية وصور منمقة وإيقاع متوازن، وهدفه من ذلك هو نقل تجربته الحياتية وشعوره وحالته النفسية فجاءت معاينة بذلك عميقة وصورة جميلة وموسيقاه موحية.

[1]: محمود سامي البارودي: الديوان ص95.

لقد رأيت –في هذا البحث- كيف أن الاغتراب كموضوع ومصطلح تعرض لكثير من الدراسات والتعريفات من طرف العلماء والأدباء والنقاء فلمسنا بذلك تعريفات له في المعجمات العربية وغير العربية وهذا ما يعكس مدى أهمية هذا الموضوع.

فهو موضوع قديم ظهر منذ القدم القديم الى غاية عصرنا العصر الذي ظهر فيه شاعرنا، وقد عانى منه نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي دفعت به، إلى الهجرة والابتعاد والاغتراب عن هذا الواقع بكل ما فيه.

جاء في متن البحث بعض أهم النقاط التي توصلنا إليها مجموعة فيما يلي:

- الاغتراب ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفها الإنسان منذ أن وطأة قدماه الأرض، ومازالت تصاحبه بمآسيها إلى يومنا هذا.
- الاغتراب هو البعد والنَوى والغربة عن الوطن.
- الاستخدام الأساسي لمصطلح الاغتراب يتعلق بملكية بالفعل Alienare، يعني نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر.وهذا يعني جعل شيء ما منتميا إلى شخص آخر.
- إن ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية لاترتبط بمكان وزمان فحيثما يوجد الإنسان قد يكون هناك اغتراب بمختلف صوره وأشكاله.
- معظم الاستخدامات المعاصرة للمصطلح تتفق على أن الاغتراب هو التباعد والتنافر، أو الانفصال عن شيء ما، ولهذا الانفصال عادة ما يكون انفصالا عن الذات أو المجتمع، حيث يميز علماء النفس نوعين أساسيين من الاغتراب: الاغتراب عن الذات و الاغتراب عن المجتمع.
- الشعراء في العصر الجاهلي الذين عاشوا حياة الغربة والاغتراب صوروا ذلك في أشعارهم، من بينهم امرئ القيس، وعنترة بن شداد وعروة بن الورد، والشنفري، والنابغة الذبياني، وغيرهم من الشعراء الجاهليين الذين ظهروا في تلك الفترة.
- يرى بعض العلماء بأن الشعور بالاغتراب يكون نتيجة لعوامل نفسية مرتبطة بنمو الفرد وعوامل مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه، مما تجعله غير قادر على مجابهة

مصاعب الحياة، والتغلب عليها، وكما يحدث نتيجة التفاعل بين العوامل الاجتماعية والنفسية.

- إن مواجهة الاغتراب يتم عن طريق تحقيق الانتماء، و التصدي للأسباب النفسية والاجتماعية للاغتراب.
- شاهد العصر الحديث ظاهرة الاستعمار الغربي في الأقطار العربية فكانت سبب في نفي الكثير من الشعراء و الكتاب من مواطنهم منهم البارودي
- عاش محمد سامي البارودي حياة مضطربة، وكان مطلعا على الأدب القديم حيث أصبح رائدا للشعر الحديث، وامتزجت روح الفروسية والأدب في نفسه، فصار رب السيف والقلم.
- الشاعر في عزلته الطويلة التي قضاها في المنفى مر بظروف تختلف عما قضاها في وطنه، ففي تلك الحقبة سيطرت عليه فكرة الوطن، وظل يتذكر أسرته وأصدقائه وأيامه السعيدة التي قضاها معهم، وانعكست كل هذه الحالات في أشعاره.
- ومن بين هذه الموضوعات التطرق إليها شاعرنا نذكر: الحنين إلى الوطن، الحنين إلى الأهل والأصدقاء، التأمل ... الخ
- تفرد البارودي بالوصف فتناول كابن الرومي وصف بشخصيته وبين ما لها من خصائص نفسية وفردية، وتمثل ذلك كله في رثائه لأهله وأصدقائه كما كانت شخصيته الحربية والأخرى المعبرة عن حياته في المنفى، هذه كلها تدلنا على ما تحفل به شخصية البارودي نفسيا وجسميا وفكريا.
- يرتبط مفهوم الالتزام بمفهوم الأدب القائم على صلة وثيقة بالحياة ويتناول الالتزام، الجانب الفكري من الأعمال الأدبية ويتجلى في الموقف الذي يتخذه الأديب مما يجري حوله.
- يعتبر أدب البارودي أدبا كلاسيكيا بصبغة أرستقراطية، وهذا الأمر لا يسمح له حرية التعبير وبيان ما يريد ويرغمه أن يبرز عواطفه في قوالب خاصة.
- عندما يبتعد الشاعر عن مسقط رأسه وذويه يسعى أن يواكب أدبه ظروفه البيئية والنفسية، ويبرز ذلك عنده في الجوانب المختلفة اللفظية، المعنوية، منها خصائص

غنية تجلت في طول أشعاره التي أنشدت في المنفى واتخاذ الأساليب الخاصة ووحدة الموضوع والتنوع والصدق والسهولة والتكرار.

- القصيدة الكلاسيكية الطويلة هي القالب الغالب في شعره، ويرجع دليل اختيار هذا النمط الشعري إلى تعاريج حال الشاعر في المنفى، أما المقطوعات الشعرية القصيرة فتكثر في الحالات المضنية والمسائل العاطفية المعنوية كالموضوعات التي تربطها أواصر بالحنين والرثاء والزهد والحكمة وما إلى ذلك، البيت الواحد هو أقل ما أنشده البارودي بينما أطول قصائده تبلغ أربعمائة وسبع وأربعين بيتا وذلك في قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته.
- البحور العروضية التي استخدمها البارودي على التوالي هي: الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف، وهي أكثر استخداما في شعره الاغترابي وتدل هذه الأوزان على تنوع حالات البارودي النفسية وتناغم هذه الأوزان مع موضوع الشاعر كما نرى البحر الطويل أول هذه البحور.

ولعلّي في الأخير بهذا البحث المتواضع، أكون قد أسلمت في تثبيت قدر المستطاع لهذا الجانب الخفي لدى الشاعر، حيث يعدّ بين الشعراء المهمين الذي يليق بنا وبغيرنا الاهتمام به وبأشعاره التي كانت خير ترجمان على كوامن نفسه وخبايا عقله، فأرجو أن أكون قد وقفت في رسم صورة واضحة عن موضوع الاغتراب في شعر محمود سامي البارودي، هذا الشاعر الذي عجز الكثير من الناس عن فهمه لطيبعته الحساسة وسلوكه المميز وحسه المرهف وحدسه الدقيق، والله الموفق وهو الهادي الى طريق الرشاد.

المصادر:

- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد، وإياك نستعين، تح: حاجي الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج03، 1972.
- ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس، دار المعارف، مصر، ط01، 1989.
- ابن زيدون، الديوان، تح: الطيب عشاس، جعفر ماجد الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، د.ت.
- أبو علي القالي، كتاب ذيل الأمالي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- امرؤ القيس، الديوان، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1972.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين المجلد الثالث تحقيق عبد الحميد الهنداوي منشورات،علي بيضو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
- الشافعي، اعتنى به وشرحه، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط02، 2005.
- زهير بن أبي سلمى، الديوان، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط02، 2005.
- عروة بن الورد، الديوان، دار صادر بيروت، 1953.
- عنترة بن الشداد، الديوان، تح: عبد المنعم عبد الرؤوف الشيلي، المكتبة التجارية القاهرة، د.ط.
- محمد أبو القاسم بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998.
- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الارشاد، حمص، سوريا، ط01، 1989.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان، المجلد الثالث، د.ط، 1993.

المراجع:

- حسن فتح الله، شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب 1987.
- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، بيروت، 2006.
- سميرة سلامي، الاغتراب في العصر العباسي، دار الينابيع، ط01.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط1971،05.
- عبد الحق منصف، أبعاد التجربة الصوفية، إفريقيا شرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2005.
- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في بسيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، ط01، 2003.
- عبد القادر الجزائري، الديوان، تحقيق زكريا صيام، ديوان المطبوعات الجامعية.
- فاطمة محمد حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، مصر، ط01، 1997.
- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999.
- محمد عباس يوسف، الاغتراب والابداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2004.

- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهضة والسقوط، دار المعرفة لبنان، ط05، 2008.
- محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري للطلبة.
- محمود سامي البارودي، الديوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- محمود سليم الهياجنة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الكتاب الثقافي، الأردن.
- يحي عبد الله، الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، دار النشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ط01، 2005.

المجلّات والدوريات:

- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان2012.
- الجميلي صالح علي، مظاهر التجديد في شعر محمود سامي البارودي، مجلة جامعة الكويت للعلوم الإنسانية، مجلد 14، العدد05، 2007.
- صادقي مزيدي، شعر المنفى والمغترب لدى محمود سامي البارودي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 21، 2011.
- علي بشرى، مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية، مجلة جامعة دمشق، المجلة24، العدد الأوّل.
- فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر.

العناوين	الصفحات
الاهداء	
شكر و تقدير	
المقدّمة	أ
الفصل الأوّل: مفهوم الاغتراب عند العلماء والرواد وجذوره في الشعر العربي	09
تعريف الاغتراب	09
الاغتراب في الإسلام	13
الاغتراب عند الفلاسفة	20
الاغتراب في الشعر (قديما)	24
الاغتراب في الشعر (حديثا)	33
الفصل الثاني: الاغتراب وأنواعه وأبعاده وكيفية التخلص منه	37
أبعاد الاغتراب	37
مظاهر الشخصية المغتربة	46
علاقة الاغتراب بالذات المبدعة	46
العوامل المسببة للاغتراب	52
مواجهة الاغتراب	54

الفصل الثالث: الاغتراب عند محمود سامي البارودي	57
موضوعات البارودي في المنفى	57
الحنين إلى الوطن	58
الحنين إلى الأهل الأصدقاء	60
التأمّل	62
عملية الأخذ والعطاء بين شخصية الشاعر وخصائص المجتمع الغربي	64
الالتزام في شعر الاغتراب	65
التجديد في شعر البارودي	66
الخصائص الفنية لشعر الاغتراب عند البارودي	79
الخاتمة	84
قائمة المصادر والمراجع	88
الفهرس	92